قصر الكتابة الخيالية

منتديات شبكة روايتي الثقافية

"للأسف لم أرى تلك الجميلة اليوم، أتمنى أن يأتي ذلك اليوم الذي أتحلى به بشيء من الشجاعة وأخبرها بما يجول بخاطري تجاهها؛ فأنا حقاً أعشق كل يوم ابدأه برؤية وجهها..يبتسم لي يومي ويحالفني الحظ بابتسامتها.هي الوحيدة التي اقص لها كل حياتي وكل ما يزعجني،أحكي لها واشعر حقاً إن نفسيتي تتحسن بسببها فجمال وجهها يشبه كثيراً جمال إسمها..أتمنى كما اقص لها كل افكاري عنها واسباب قلقي عليها أن اخبرها بحقيقه شعوري لها..أنا أيضاً اليوم قرأت كتاب لكاتب قد جن جنونه حقاً ..مجنون لدرجة تجعلني أريد أن أنهض لأقرأ هذا الكتاب مرة اخرى لافهم بصورة اوضح رسالته الخفية بين السطور،لأفهم هل هذا كاتب مجنون حقاً؟.أم تحمل قصته حكمة أو مغزى لم التفت إليه في قراءتي الأولى لهذا الكتاب. "

Designed By:Noor1984

كتابة:

NORHAN FAWZI

تدقيق ومراجعة لغوية:

Gege86

تصميم الغلاف والفواصل:

noor1984

تصميم الصفحات الداخلية
وتعبئة وتنزيل:

noor1984

إهداء

إلى من جعلت حياتي أكثر جمالا, ومن كانت طيف جميل ونجمة تلمع في سمائي بعد أن كانت قد ملئت بالغيوم. إلى تلك التي عندما ستقرأ هذا الإهداء ستبكي وتضحك معا ولن تجد ما تقوله لي بعدها... كعادتها. إلى من تمنيت أن تضيء روايتي بجمالها وطبيعتها وتلقائيتها فجسدتها في إحدى شخصيات الرواية. ربما قد أخطئ في وصفها, لكنها أجمل من أي حديث قد يصفها. إلى نجمتي الخاصة...
نادين محمد.

المقدمة

هل جربت أن تسير وحدك يوماً في الظلام ليلاً... ولا يوجد صوتاً حولك إلا صوت المطر؟ هل حاولت أن تغمض عينيك قليلاً وتسرح في عالم آخر أو عصر آخر مر على نفس الأرض التي تقف عليها الآن؟ هل سمحت لعقلك أن يفكر كيف كان من يعيش بنفس مكانك منذ أعوام؟ هل فكرت إنه من الممكن أن تكون روحه ما زالت تسكن معك حتى الآن... موجودة وتعتبرك صديقها في السكن... صديقها الذي سيأتي له يوم ويصبح غير مرئي مثلها ويراقب معها الساكن الجديد... ويموت ويأتي بعده ساكن آخر جديد وتتكرر تلك الدائرة مرة أخرى...

اخبرني عن إحساسك وأنت تتصفح صفحات التاريخ... هل فكرت مرة بمن مر بتلك الأحداث؟ هل سمعت صوت صراخ الشعب فرحاً بعد نجاح ثورة 1952؟ هل رأيت في خيالك الشعب ثائراً في ثورة 1919؟ هل نبض قلبك حزناً على صراخ أم فقدت ابنها في الحرب العالمية الأولى؟ هل جربت أن تعيش في قصه حب مليئة بالحب والاشتياق من الستينيات؟ هل تخيلت أن منزلك مرت به كل هذه العصور القديمة ويمر به عصرك الحالي وسيمر به عصور ما بعدك؟

هل أحسست بحروف التاريخ حقاً؟

هل أحسست إنك بيوم ستصبح تاريخاً مثلهم يقرأ عنك الساكن الجديد، ويفكر كيف كنت تعيش، ويحاول أن يتخيلك أو يتخيل كم كنت تواجه من صعاب؟

سيدي لا تجهد عقلك بالتفكير، أو محاولة اكتشاف هل حقاً أرواح شخصيات التاريخ تطوف حولك الآن، بل أغمض عينيك فقط وأعطي لعقلك فرصة لكي يسافر بعيداً. لكن لا تحاول أن تضع حداً له، اجعله يسافر حتى يجد روحك في الحيوات السابقة. ربما أبدو مجنوناً لك الآن... ولست أنت أول من يعتقد إنني كاتب مجنون، فكل من يعرف أفكاري يعتقد إنني كاتب وحيد قد سرقت الكتب عمره ولم يفق إلا بعقده الخمسين وقد سيطرت عليه الأفكار الخرافية والأسطورية التي قرأ عنها في تلك

الكتب العديدة التي من كثرتها بدأتُ أنسى أسماءها. وقد تعتقد إنني كاتب موهوب جداً وذو قدرة خرافية على الإقناع ووصل خيالي إلى عنان السماء، لذلك أحاول إقناعك ببعض الخرافات، لكني أومن بهذهِ التي ستسميها خرافات واعتقد إنها حقيقة بحتة، وتوصلت لذلك المعتقد عندما سافرت إلى أشباهي في العوالم السابقة، فنحنُ كنا نعيش في الحيوات الأخرى بشخصيات مختلفة، وعندما نموت نعود إلى الحياة مرة أخرى بشخصية أخرى جديدة.
لقد حذرتك من البداية أن هذا الكتاب لشخص ذو أفكار غريبة، غير معقولة ولا يصدقها الكثير. أوه قبل أن أكمل لك، إذا أصررت على قراءة هذا الكتاب برغم إني أخبرتك بأنه ملئ بكل دروب الجنون، فعليك وحدك أن تتحمل النتيجة فربما تجن. ربما ترى ناس آخرين من عصور أخرى، وتسمع أصوات غريبة. ربما قد ترى كل الأرواح التي أخبرتك عنها بالأعلى. وربما يحدث أكثر مما يستطيع لساني أن يخبرك به ويستطيع عقلك أن يتخيله.
لقد حذرتك وأنت أدرى بما تفعل، فأنا أغرس اللعنة بين السطور. ستندم وتتمنى لو لم تقرأ جنوني، ولو لم تسمع اسمي واسم كتابي هذا من قبل...
مع تحياتي؛الكاتب المجنون الذي سيجعلك تتذكره للأبد.

اليوم الأول الكتاب؟

في حجرة تتسم بالهدوء الذي لا مثيل له في حياتنا. أمام مدفأة جالساً على كرسيه وبيده ذلك الكتاب الذي يسمي 'كأولين'، كان حقاً كتاب له اسم غريب، وأفكار أغرب، وقصص كثيرة متداخلة ومعقدة لا تصدق. فكما كان يدعي الكاتب نفسه بالمجنون، فهو مجنون يتمتع بخيال خصب لا يوجد له مثيل، فشعر أن صاحب هذا الكتاب ليس إلا كاتب محترف، سبح بعقله في خياله كثيراً كعادة أي كاتب حتى أصيب بالجنون من فرط خياله، الذي يظهر إنه يعيش بداخله أكثر مما يقضي في حياتنا الواقعية. لكن برغم ذلك، وبرغم تحذير الكاتب، أصر هو أن يكمل الكتاب لنهايته، اعتقاداً منه أن هذا الكاتب استخدم تلك العبارات في مقدمة كتابه حتى يلفت نظر القراء له ويشدهم إلى فكرة كتابه ويساعدهم أن يسبحوا ويعيشوا ويذوبوا في خياله وقصصه التي وصل الخيال والعجب به عنان السماء. فرغم ذلك ظل منسجماً في الكتاب ولم يشعر بمرور الوقت وهو يتنقل بين القصص التي تحدث بعض أحداثها في الصين، وثم تستكمل أحداثها في المغرب رجوعاً إلى النوبة، ثم تنتهي في الهند، وهناك تبدأ قصة جديدة تمر أيضاً بعديد من الأماكن، وهكذا وهكذا... حتى وجد آخر جمله بالكتاب، 'لقد حذرتك في العديد من المراتِ وأنت لم تلبي وقمت بقراءة الكتاب كاملاً، بهذا لقد فتحت أفاق عقلك وروحك على العوالم الأخرى. لقد نبهتك أن ذلك الكتاب ملعون، لكنك أكملته، وأنا غير مسئول تماماً عما قد يحدث لك. لكن أيضاً لا تخف، فأنت ستقابل روحك عندما كانت لشخص آخر.'

لم يلتفت يوسف لتلك الجملة، ولم يعيرها أي اهتمام، وكأنه لم يقرأها مطلقاً. فهو في عزلته قرأ الكثير والكثير من الكتب، واكتشف أن الكتاب الذين يتمتعون بخيال خصب قد يمسهم الجنون... أو قد تقودك كتاباتهم إلى الجنون. فبعدما انتهي يوسف من ذلك الكتاب المجنون، أغلقه ولم يقرر أن يتخلص منه، بل اتجه إلى مكتبته ليضعه بجوار كتبه الكثيرة التي

كان يجد منها مؤنساً في وحدته. فهو شاب في العقد الثالث من عمره، قد استقل بحياته منذ عهد. فهو شاب يعشق العزلة، ليس اجتماعياً مطلقاً، بل كان انطوائي كما يصفه من حوله. لم تكن روحه تتحدث إلا مع الورق، ولا يسمح إلا للكتب أن تعطيه أفكارها. يعود دوماً من عمله ليتصفح كتاباً جديداً. ليس لديه صديق ليتحدث معه، وليس لديه طاقة ليسأل عن أقربائه. لا يتحدث إلا لمكتبته التي يغلب عليها عنصر التاريخ، فهو يعشق أن يتصفح ويعرف كل شيء عن التاريخ وعن الكتب المتعلقة بالتاريخ. وجدها بديلا عن الناس، فهو برغم إنه يحمل ملامح ذات طابع وسيم ورائع، فكان متوسط القامة متوسط الجمال وعقله غني بالكثير من المعلومات التي قد تصيبك بدهشة أن هناك من يحمل بذاكرته كل تلك الخيالات والقصص وحكايات التاريخ والعبر والمعلومات، لكنه يحمل طبعاً يجعله دائماً يعتقد إنه ناقص... إنه قبيح... أن الجميع سيسخر منه عندما يتحدث، لذلك التزم الصمت مع الجميع. فبرغم أن به الكثير من المميزات التي تجذب أي شخصية يتحدث معها، لكنه كان به صفة تضيع هذا كله، فهو شديد التردد، يخاف كل شيء وكأنه يحمل فوبيا من الحياة، يخاف أن يتحدث فيظهر إنه أقل أو قد يخطئ. هو نفسه قد سأم هذا التردد، وكان يحاول أن يتخلص منه بكل شيء، حتى ولو ذهب على عكس طبيعة وتقاليد مجتمعه إلى طبيب نفسي.

بعد أن أنهى هذا الكتاب، قرر أن يضعه مع كتبه بمكتبته، ولكن وهو يتجه نحو مكتبته سمع على غير العادة جرس بابه يرن، فاتجه إلى الباب. عندما فتحه لم يجد أمامه أي شخص، فأغلق الباب ثم اتجه لحجرته وجلس على سريره وبيده دفتر ذكرياته الذي اعتاد أن يقص له يومه، ثم بدأ يكتب به:

"للأسف لم أرى تلك الجميلة اليوم. أتمنى أن يأتي ذلك اليوم الذي أتحلى به بشيء من الشجاعة وأخبرها بما يجول بخاطري تجاهها، فأنا حقاً اعشق كل يوم أبدئه برؤية وجهها.

يبتسم لي يومي ويحالفني الحظ بابتسامتها. هي الوحيدة التي أقص لها كل حياتي وكل ما يزعجني. احكي لها وأشعر حقاً أن نفسيتي تتحسن بسببها، فجمال وجهها يشبه كثيراً جمال اسمها. أتمني كما أقص لها كل أفكاري عنها وأسباب قلقي عليها أن أخبرها بحقيقة شعوري نحوها. أنا أيضاً اليوم قرأت كتاب لكاتب قد جن جنونه حقاً. مجنون لدرجة تجعلني أريد أن أقوم لأقرأ هذا الكتاب مرة أخرى، لأفهم بصورة أوضح رسالته الخفية بين السطور، لأفهم هل هذا كاتب مجنون حقاً أم تحمل قصته حكمة أو مغزى لم التفت إليه في قراءتي الأولى لهذا الكتاب.'

ثم أغلق يوسف دفتره ووضعه جواره ثم استلقي على سريره وظل يحدق إلى سقف حجرته، شارداً يعيد في ذاكرته أحداث ذلك الكتاب الذي قد قرأه، واثقاً أن اللعنة التي أشار إليها الكاتب ليست إلا كذبة من شخص مجنون، حتى غلب النوم عليه وقطع تفكيره...

لم يستغرق في النوم كثيراً حتى سمع صوتاً جعله يستيقظ فزعاً. لقد كان صوت امرأة تبكي. لقد جن جنونه حقاً عندما وجد امرأة بالفعل بجوار باب حجرته، وبمجرد أن رأى وجهها بدأ يصرخ في هستيرية وخوف. "من أنتِ؟ كيف جئت إلى منزلي؟ أخبريني من تكونين؟"

لم يسمع يوسف أي رد من تلك المرأة، كأنها لا تسمعه ولا تراه. فحاول أن يلوح لها حتى يتأكد. فتأكد إنه غير مرئي. ركز في ملامح تلك المرأة الباكية فأحس أن تلك الملامح مألوفة، له لا يتذكر لمن، لكنه أحس إنه يعرفها.

كانت امرأة جميلة ارتسمت بملامحها الهدوء والرقة، فكانت لها رموشاً جميلة كثيفة تتحرك لتكشف عن جمال عينيها بديعة الجمال، كانت تجذب من ينظر إليها كأنها تحمل الكثير من الأحاديث المتشابكة، فكانتا بلون البندق لتذيب بها من ينظر ويتعمق في جمالها. وكان يبدو من ملامحها إنها في العقد الثالث من عمرها هي الأخرى. كانت جميلة بوجهها الذي يكاد أن يكون قمر في ليلة تمامه، وشعرها الذي يزيدها جمالا بلونه البني

مقصوصاً بصيحة قديمة قد تعود إلى الستينات، وفستانها أيضاً يشبه تلك الفساتين القصيرة التي كانت تلبسها السيدات ذو المستوى المادي المتوسط في تلك الفترة.

سرح يوسف بها قليلاً ونظر حوله، فوجد فرش منزله قد تحول لفرش من تلك الفترة أيضاً. ووجد نفس ذلك الكتاب الذي كان يقرأ به، فتذكره وتيقن إنه كتاب ملعون حقاً، وهو الذي نقله إلى زمن آخر فلم يعرف ماذا يفعل. ماذا يفعل وهو غير مرئي حتى؟

حاول أن يعصر خلايا عقله ليجد حلاً لما هو به، ظل يصيح و يحرك يده بكل مكان، لكن لم يكن لهذا نفعاً، فصياحه لم يثبت له إلا شيء واحد، إنه غير مرئي، ولا حتى مسموع. كأنه طيف أو شبح. أخذ يتذكر كل حرف قرأه بالكتاب، حاول هذا مراراً وتكراراً، لكنه لم يفلح في ذلك أيضاً. فمن وَهل ما يمر به الآن، لا يستطيع أن يتذكر سوى المقدمة. لكنها تقول عكس ما يحدث معه، تقول أن القديم هم أشباح قصته، وليس العكس، ليس هو الشبح في قصص العصور القديمة. لقد خاب ظنه إلى أن يصل إلى أي شيء، أو أي حل. حاول أن يقترب من تلك المرأة ليتأكد هل هي موجودة حقاً، أم هي الخيال؟ فأقترب منها حتى دنى لحد ما وشعر أن هناك شيء خفي، أو هالة حول تلك السيدة تمنعه أن يقترب منها أو يلمسها. ولم يكن هذا حاله مع السيدة فقط، بل مع كل شيء حوله، فتيقن أن تلك الهالة التي تمنعه من لمس أي شيء ليست حول السيدة، أو أي شيء من الأشياء التي أمامه، بل تلك الهالة تحيطه هو، فأصيب بحالة من القلق واليأس وأحس إنه حكم عليه أن يحبس في عصر آخر.

وليس هذا فقط، بل حكم عليه أن يمنع من أي وسيلة ليتواصل مع من حوله. وفي حالة صمته وحيرته، وجد تلك المرأة الجميلة تتحدث وقد ارتسم بملامحها حزناً عميقاً، حزناً قد يتحول وحده إلى حديث يعبر عن قلبها والأسى الذي يحمله دون أن تهمس، فما بالك لو تكلمت وباحت عما يحمله قلبها. انتبه لها جيداً وهي تقول بنبرة يشوبها الألم. "لقد تحملتُ منه

الكثير. وتحملت طبعه القاسي لأن قلبي يحبه. في بداية حياتنا معاً كنتُ أقول أن هذا طبعه وسيتغير بزواجنا، لكن لم يتغير شيء. مازال كما هو لا يتحدث، لا يبوح بشيء، بارد المشاعر لا يحاول أن يلفظ بكلمه أحبك حتى لمرة. اعرف إنه يحبني، لكن تصرفاته هي من تجعل الشك يدخل قلبي. لقد سأمتُ تصرفاته هذه. دائماً صامت، بارد، جبان، يقضي وقته دائماً مع كتبه وورقه وينسى أن هناك من يعيش معه. لقد كنا مختلفين منذ البداية، والجميع حذرني من هذا الاختلاف، مع ذلك عاندت واستمريت معه وبحبه، وقلت لنفسي أن هذا الاختلاف قد يقوي علاقتنا، لا يضعفها. لقد تحملتُ الكثير حتى أحافظ على حبنا، لكني أريد من يحافظ معي. لا استطيع أن أتحمل وحدي... لا استطيع! لقد تجاهلتُ الجميع عندما قالوا لي إنني لا استطيع أن أتحمل طبعه، وإننا مختلفين تماماً، وقلتُ أن الحب سيغيره تماماً عن ما يقولون، لكني كنتُ على خطأ. فأنا الآن ألوح بالعلم الأبيض وأعلن الاستسلام. لا استطيع أن احتمل أكثر من هذا. لا استطيع أن أعطيه فرصة أخرى، فكل مرة أشعر إنني الخاسرة، ولقد سأمتُ هذه الخسارة وأريد أن أغيرها للأبد... للأبد! وحتى لو كان هذا التغير سيصبح سبباً لبعض آلام قلبي، لكن أتألم لفترة سيكون أفضل من أتألم لباقي حياتي. فأنا سأمت كل شيء، سأمت تردده وخوفه من كل شيء، سأمت حياتي بسبب ما يدور بقلبي بسبب شخص لم يشعر بألمي..."

ثم بدأت في بكاء هستيري جعلها لا تستطيع أن تنطق كلمى أخرى، لا تستطيع أن تبوح بحزنها أو آلمها، دون أن تبوح بما يجرح روحها. كل هذا ويوسف واقف أمامها في حالة من الذهول التام، لا يعرف ماذا يفعل وكيف يتصرف في ورطته الآن، فهو غالباً قد حبس في زمن آخر بسبب لعنة الكتاب. ولا يعرف كيف يخرج من ذلك الوقت، أو كيف يحل تلك المعضلة. لم تكن شيمته إلا أن يقف صامتاً ليراقب ماذا يحدث لعله يحصل على مخرجاً.

لم تمر لحظات حتى وجد يوسف باب ذلك

المنزل يفتح، فمحت تلك السيدة دموعها، وحاولت بأقصى سرعة لديها أن تخفي ملامح الحزن البارزة في وجهها. وبمجرد أن دخل زوجها، ابتسمت له ابتسامة مصطنعة، ولم تحاول أن تبادر بالحديث أو تنطق بحرف واحد. وصدم يوسف عندما رأى من يفتح ذلك الباب... لم يجد كلمة أو تعبير ليصف به شعوره في تلك اللحظة. أحس إنه يقف أمام مرآة... مرآة تعكس وجهه تماماً، مرآة تفصل بينه وبين نسخة أخرى منه لكن في عصر آخر. أحس إنه قد تجمد في مكانه من هول صدمته، وقرر أن يراقب الوضع. هل هذا مجرد شبيه له؟ وهل هذا الشبيه يشابه ملامح وجهه فقط أم ملامح شخصيته؟ هل هذا الشبيه من جعل تلك الحسناء تتألم إلى هذهِ الدرجة وكأنه عديم المشاعر؟ فكر يوسف كم أن هذهِ النسخة منه التي تقف أمامه مصابه بالأنانية.

راقب يوسف تعابير وجهه وتعابير وجه تلك الحسناء أيضاً. ظل صامتاً لم ينطق بحرف منذ دخوله المنزل، أما تلك الحسناء اتجهت إلى المطبخ لتحضر غدائه. ظل الصمت يعم على المنزل برغم الثورة التي تعم بداخل كل من به، فتلك الحسناء كانت تمر روحها بثورة ضد من أهلكها بصمته وإهماله لها، ويوسف بداخله ثورة ضد نسخته، فقد تولد في قلبه تجاهه شيء من الكره وغبطة، وثورة بداخل تلك النسخة قد بانت ملامحها على وجهه أمام يوسف، لكن لم يعلم سببها إلا الله.

وقد تبين من حديث تلك النسخة مع الحسناء عندما خرجت من المطبخ ووضعت الغداء على الطاولة أن هناك ثورة أخرى تدور خارج هذا البيت، ثورة أكبر وأعظم بكثير، ثورة ستنهي أخيراً الألم الذي لمس قلوب الجميع.

مجرد أن جلست أمامه، نطق لسانه أخيراً قائلاً، "سميحة، هل علمتِ ما حدث؟"

"ماذا؟"

"حركة الضباط الأحرار، لقد أصدروا بياناً اليوم. ألم تسمعي بذلك؟ سيرحل الملك عنا..."

فابتهجت قائلة، "حمداً لله. أخيراً... أخيراً

سنتحرر من قيود الملك. أعتقد إنها ستكون بداية جديدة لكل شيء. حتماً جميع الظروف يجب أن تغير. إنه حقاً سيكون عهداً سعيداً."

"ما الذي يجعلك سعيدة كل هذا الحد، سميحة؟ أنتِ لا تعلمين ماذا سيحدث، ربما فيما بعد سنندم على رحيل الملك."

"أنت دائماً هكذا، جلال. إلى متى ستظل بهذا التشاؤم؟ أنت دائماً تخاف التجديد."

"بل أنتِ الحالمة التي تعتقد أن الحياة وردية. حمقاء! أنا لستُ متشائماً، أنا فقط واقعي. أنتِ ومن مثلك من سيندم غداً."

"لا اعتقد إنني ومن مثلي من سيندم. الحياة فعلاً وردية لمن يراها هكذا وقلبه مفعم بالأمل، أما المتشائم مثلاً، أو كما تدعو نفسك واقعي، فهو الذي يضع حداً وسقفاً لكل شيء، هو الذي يرى الحياة سوداء، ولن يستطيع أن يصل لحلمه مطلقاً."

ثم نهضت من أمامه فناداها قائلاً، "إلى أين؟"

كانت تلك الجملة عمود الثقاب المرتقب ليشعل النار التي كتمتها بقلبها. ردت عليه قائلة، "إلى حيث أهرب من قيودك. إلى حيث أنتهي من تلك الآلام التي غزوت قلبي بسببك. إلى حيث أهرب من ترددك وخوفك وإهمالك. إلى حيث انتهي من صمتك المبالغ به."

نهض هو الآخر تجاهها قائلاً، "هذا أنا، وهذه شخصيتي منذ قبل أن نتزوج، ولم تظهري تبرمك منها حتى الآن. ما الذي يجعلك الآن تتبرمين وتظهرين غضبك؟"

"حقاً أظهر غضبي! عيبي إنني لم أظهره لكَ منذ البداية. لقد سأمت. سأمتُ هذا كله. سأمتُ تجاهلك لي. سأمتُ حياتي."

"أنتِ لم تعطي لي إنذاراً قبل أن تشعلي تلك النار."

"وهل يجب أن أعطيك إنذاراً حتى تشعر أن هناك شخص آخر معك بالمنزل؟ هل يجب أن أعطيك إنذاراً لكي تقول لي أحبك؟ هل يجب أن أعطيك إنذاراً لتمنحني الشعور بالأمان، ذلك الشعور الذي يجعل المرأة تهب روحها لمن يجعلها تشعر به؟"

"ولكن..."

"ولكن سأمتُ وحدتي وأنا بين يديك."
ضحك ساخراً ولم يعر لألمها وجروحها شيئاً، بل قال ساخراً، "أووه، إذاً أنتِ تشعرين بالوحدة، عزيزتي؟ لا تقلقي، عندما يرزقنا الله بمولود، سيتلاشى هذا الشعور عن قلبك للأبد، وستجدين ما يشغلك عن أفكارك وهواجسك المجنونة."
كان يوسف يتمنى لو يبرحه ضرباً. بهذا البرود الذي يتسم به. ولكن كان رد سميحة عليه كافياً.
ردت عليه قائلة وهي تحاول أن تصل لمستوى برودِه وسخريته برغم تلك النار التي بقلبها، "لا اعتقد إننا سننجب، جلال."
"لماذا؟"
"لأن علاقتنا هذه ستنتهي الآن."
"لا، هذا مستحيل."
"هذا أصبح شيئاً مؤكداً بالنسبة لي، فأنا لن أضيع من وقتي أكثر من هذا مع شخص مثلك لم يشعر بقيمتي."
"لا تأخذي قراراً سيجعل كلانا يندم لباقي عمره."
"أنا أثق بما أقوله لك، ولن أندم وسترى هذا. وأريد إنهاء علاقتنا ليس اليوم، بل الآن."
تعجب يوسف من قوتها أمامه برغم انكسارها وهو ليس هنا، فعلم عن عدم الاهتمام بها قد استحل حبها له كرهاً وجعل قلبها حجراً، كأرض أصبحت بوراً بسبب عدم الاهتمام، ولو اهتم صاحبها بها ولو بكلمة لكان هذا البور أخضراً جميلا.
تجمد جلال أمام رغبة سميحة، فهو لم يتخيل أن لسانها قادر على أن ينطق مثل هذهِ الكلمة وبمثل هذه الصلابة، فهو -وإن كانَ لم يظهر ذلك- فأنَه لا يحبها بل يعشقها، لكنه لم يكن بالخبير في إظهار مثل هذا لمحبوبته. أحس أن قلبه ينفطر لما قد وصلت إليه علاقته مع حبيبته، فحاول أن يجمع كلماته ليرد عليها وعلى رغبتها، لكن كانت الكلمات تتعثر منه، تهرب دائماً بسبب قلقه وتوتره.
وكان يوسف في تلك اللحظة بأشد حالات الحماسة ليعرف ماذا سيحدث، لكن فجأة أحس

يوسف ببرودة شديدة تدب في أنحاء جسده، وأصبح لا يستطيع الحركة، وكأنه أصيب بالشلل للحظات، ثم سمع صوت عجيب كرنين مزعج... كان رنين منبهه الذي أيقظه من الحلم الأكثر غرابة الذي قد يمر به أي شخص في حياته، والذي لا يمكن أن يوجد له مثيل. أغلق يوسف المنبه وظل يتلفت حوله لدقائق، وكأنه مازال لا يستوعب أن هذا ليس إلا مجرد حلم. نهض من سريره وجرى سريعاً إلى مكتبته، بالتحديد إلى حيث يوجد هذا الكتاب اللعين، 'كأولين'.

جاء بهذا الكتاب وأخذ يقلب بين صفحاته كالمجنون، إذا فجأة بسقوط ورقة من ذلك الكتاب، فانحنى يوسف ليمسك بتلك الورقة فوجد مكتوباً بها، "اليوم الأول... الكتاب..."

روايات خيالية حصرية تصدر على منتديات
شبكة روايتي الثقافية.
www.rewity.com

اليوم الثاني
أحبك!

أخذ فترة ليست بقصيرة ليفهم ما حدث له. لقد شغل هذا الحلم باله كثيراً -إن كان مجرد حلم- فتأتيه تلك الورقة التي وجدها بالكثير من الشكوك. هل كان هذا الكتاب ملعوناً حقاً؟ فإن كان قد استطاع أن يهدأ فضوله عن الحلم، هو لا يستطيع أن يهدأ ذلك الفضول. هو بالنهاية ليس مجرد قارئ، بل هو كاتب أيضاً، والكتابة هوايته ووظيفته. فلهذا يتمتع بذلك الخيال الخصب والقدرة البديعة في أن يربط بين الأحداث حوله، وأن يمررها على خياله ليجد حلا. لكن أمام تلك الورقة، وفي ظل هذهِ الظروف، أحس أن عقله توقف وقدرته اختفتَ وخياله الخصب قد ذبل لونه الأخضر. بالطبع، تختلف طريقة الحياة والمشكلات وحلولها في الواقع عن الخيال كثيراً.

أخذ يتوتر شيئاً فشيئاً، يفر ويقلب بين صفحات ذلك الكتاب اللعين العديد من المرات بطريقة جنونية، يغلقه ويفتحه، وترتعش يداه قلقاً ويتصبب جبينه عرقاً، كأنه يجري في صحراء يفوق درجه الحرارة بها الأربعين درجة.

أغلق الكتاب ورفعه إلى حيث أمام وجهه وركز بعينيه الواسعتين على غلاف ذلك الكتاب الذي كان يقوده للجنون. أخذ ينظر وينظر إليه وكأنه يتصفح كل شيء في ذلك الغلاف في حالة من الصمت المهيب، حتى أحس بشيء من الخوف تجاه أسم الكتاب 'كأولين' الذي كان مكتوباً باللون الذهبي. وجد لون حرف الكاف فقط قد تغير إلى اللون الأسود. لقد تملك منه القلق والغصب والحيرة، فألقى بهذا الكتاب أرضاً ثم اتجه إلى غرفته ليبدل ملابسه وبسرعة، ثم خرج إلى الشارع، إلى حيث لا يعلم.

ظل يسير ويسير ولا يعرف إلى أين الخطوة القادمة... كحياته تماماً المبعثرة أحداثها. كان يشعر دائماً أن حياته كإحدى رواياته تماماً قبل أن تعد للطباعة؛ مبعثرة على الكثير من الأوراق. يكتب الحدث على تلك الورقة ثم يشعر أن هذا الحدث فاشل، فيمزق تلك الورقة وهكذا. يبتأس ويأمل، ويبتأس ويأمل. قد يظهر للبعض إنه ناجح، لكنه ليس هكذا مطلقاً

-وربما لا يستطيع أن يقدر قيمة نفسه- وحيداً، بائساً، قد فقد كل ما هو غالي لديه، لا يملك بحياته سوى تلك الأوراق التي يحاول أن يحكي لها كل ما بداخل قلبه. يحكي كل شيء عن ما يؤلم روحه. يسرد كل شيء على تلك الأوراق. ما عداها هي. بالرغم من إنه وإن كان ليس بالكاتب المشهور والناجح في أعين الناس، لكنه لا بأس به. كان يفشل في كل مرة يحاول سرد جمالها وقوتها على الورق. كان يتحدث عن حبه ويخشى أن يتحدث عنها، وكأنه يغار من قلمه عليها. كان قلمه ناجح في وصف جمال كل شيء حوله، عدا جمالها، عدا حبه وإخلاصه لها الذي لا يكفيه أن يسرده حبر على ورق.

ربما بالنسبة لها هو مجرد مريض نفسي من المرضي الذين يأتون لعيادتها، لكنها لم تكن مجرد طبيبة له. ولم يعرف كيف أو متى ولد كل هذا الحب بقلبه، لكنه ولد وشغل قلبه وعقله، وأصبح لا يستطيع أن يفكر في أي شيء سواه. لا يعلم هل لأنها الوحيدة التي كانت تسمع لمشاكله دون كلل أو ملل أو استخفاف؟ أو لأنها الوحيدة التي حصلت على ثقته التي بالعادة لا يعطيها إلا للورق فقط؟ أو لأنها الوحيدة التي لم تجعله يشعر مطلقاً إنه عبئ عليها، بل كانت تعتبره صديقها، فهم بينهم علاقة صداقة بدأت قبل أن يشعر هو إنه مريض نفسي يحتاجها. وربما يحبها لجمالها، فكانت على العكس من هذهِ البشرية، كانت تحمل في ملامحها شيء من البَراءة التي ترتسم بوجوه الأطفال، وجسدها النحيل بعض الشيء وقصر قامتها التي تشعرك إنها ملاك صغير عندما تبتسمِ، فكان جسدها هذا يضيف إلى جمالها جمالا، لا ينقصه. هذا غير عينيها اللتان تحملان ضوء من الأمل، تجعلك مجرد أن تنظر إليها تشعر بالاطمئنان الذي يعطيك جرعه من التفاؤل والأمل والطموح. هذا غير جبتها الذي يسطع بنور إرادتها، وقلبها الذي لا يعرف كره أو يأس معني. كانت له كأنها هالة من النور دخلت حياته لتضيء ظلمة حياته وتضع في قلبه بصيص من الأمل ينظر من خلاله إلى الحياة

بنظرة جديدة بعد كل مراحل الضعف والانكسار تلك التي مر بها.

*****

لا يعرف هل قاده إليها قدماه؟ أم قلبه العاشق؟ أم تفكيره المشتت؟ فبعد أن سار هائماً على وجهه يفكر بحياته البائسة، شبه غائب عن الوعي يسبح بفكره في عوالم أخرى، حتى وجد قدماه تستوقفه أمام عيادة طبيبته الحسناء، نادين، فدخل إليها، ولحسن حظه لم تكن مشغولة بأحد مرضاها، فدخل إليها. بعد ترحيبها به بدأ يقص عليها قصة ذلك الكتاب وهذا الحلم وكل تلك الشكوك والريبة التي تجول في خاطره. وبرغم إنه واثق إنها لن تصدق كل هذهِ الشكوك وأن هذا الكتاب مسحور أو ملعون كما يعتقد. وبالفعل حدث ما كان متوقع منه تجاهها وفسرت أن هذا الحلم فقط بسبب قراءته لهذا الكتاب الخيالي قبل نومه، فكان يشغل باله أحداث ذلك الكتاب، فشغل عقله الباطن، مما جعل عقله يصور له في حلمه ما حدث، وأن مقدمة ذلك الكاتب ليس إلا وسيلة يحاول جذب الكثير من القراء عاشقي المغامرة حول كتابه ليس أكثر. وطلبت منه أن ينتظر ليتأكد إذا حلم مرة أخرى بنفس الحلم أم لا.

وبعد ما قالته له، ظل الصمت يخيم عليه لدقائق قليلة ثم سألها دون أي ترتيب بعقله. "أريد أن أستشيرك بشيء، نادين. ليس بصفتك طبيبتي، بل صديقتي."

فابتسمت له بابتسامتها التي تشع أمل، كمعنى اسمها، والتي تحمل كل معنى البراءة واتجهت لتجلس جواره. ثم قالت له. "تفضل، بالطبع، يا يوسف. أنا استمع لك الآن."

فتنهد يوسف ثم نظر إليها وحاول أن يبدأ الكلام الذي يجول بخاطره، وقد ظهر في كلامه نبرة القلق وهو يقول لها، "ما رأيك بحالتي تلك، فأنا احمل بعض من المشاعر الطيبة لأحدهم، لكني لا استطيع أن أصارح هذا الشخص بتلك المشاعر."

ابتسمت له ثم قالت، "مشاعر طيبة؟! أتقصد إنك تحب أحدهم، أم اختلط علي الأمر؟"

تنهد مرة أخرى وهز رأسه قائلا، "نعم... نعم،

بالطبع مشاعر حب، كما فهمتِ تماماً."
قطبت حاجبيها ثم وجهت نظرها له في اهتمام قائلة، "يوسف، لا جرم عليك إنك تحب، وأنا اعلم إنك تتحلى بالشجاعة الكافية لأن تعترف لتلك الشخصية التي تحبها بهذا الحب، مهما كانت تلك الشخصية. لكنك تسألني فقط لأنك خائف من الخذلان. خائف لأن يحدث ما حدث معك مرة أخرى وتفقد أكثر مما فقدت في السابق."
"تعتقدين ذلك حقاً؟"
"بالطبع اعتقد ذلك. أنت فقدت أسرتك وحبيبتك في وقت قصير جداً، مما أثر عليك كثيراً في كل شيء، في كفاءتك وحياتك وروحك. وحتى حياتك النفسية تدمرت أثر ما حدث، لذلك أنت خائف أن تبدأ من جديد، وهنا تكمن مشكلتك النفسية التي تأتي إلي هنا لعلاجها. أنت فقدت ثقتك بنفسك وبقراراتك، لذلك لا تستطيع أن تكون علاقات جديدة، دائماً شديد الخوف تجاه مظهرك وما من هذا القبيل."

أحس بالتوتر مرة أخرى، وكأن كلامها أعاد له الذكريات التي يحاول دائماً أن يتناساها. تلك الحوادث والصراخ... تلك الآلام والأوجاع... كل شيء أحس إنه شريط يمر بعقله مرة أخرى جعله شارداً عن كلام الطبيبة نادين. تمر وتمر الذكريات بعقله، ومنها ما يلمس قلبه فينبه تلك الأوجاع والجروح التي تأبى أن تتلاءم مرة أخرى، التي تأبى أن تتناسى.
ظل يسبح في تفكيره هذا حتى عاد لوعيه والطبيبة تقول له، "أنت مصاب بحالة من حالات الوسواس القهري، بسبب تلك الصدمة التي تعرضت لها يا يوسف، لذلك لا تريد أن تبوح بحبك لمن تحب. إنك لا تريد أن تتحمل أي صدمة جديدة. أنت حتى تخاف أن تمارس هوايتك التي تعتبر مصدرك الوحيد للسعادة في الوقت الراهن. أنت لم تفكر أن تبدأ بكتابة رواية منذ تلك الصدمة وهذا الحادث، أليس كذلك؟"
"سأحاول... سأحاول أن أتبع نصيحتك، نادين. سأحاول هذا."

"أعلم أنك ستستطيع، يا يوسف. أنا واثقة بأنك تمتلك قوة عظيمة لا تعلم عنها شيئاً، لكن ستكتشفها يوماً."

"أتمنى."

"عندما تعود لك ثقتك بنفسك ستكتشفها، يوسف. ولكي تعود لك ثقتك بنفسك، يجب أن تواجه مخاوفك."

فابتسم لها كأنه يحاول أن يخفي ملامح الحزن المرتسمة بين ملامحه. ثم قال لها، "هل يمكن أن يكون لهذا الحلم علاقة بحالتي؟"

هزت رأسها مبتسمة قائلة، "لا اعتقد هذا. لقد كان مجرد حلم فقط. مجرد حلم لا تشغل بالك به."

"حسناً، سأحاول. وداعاً."

"وداعاً."

ثم خرج من عيادتها ووجهه يحمل تلك الابتسامة التي ترتسم على وجهه بمجرد أن ينزل بعينها. ثم قرر أن يعود إلى منزله ليحاول كما وعدها. يحاول أن يواجه مشاكله. بعدما وصل إلى منزله بعد دقائق وجد هاتفه يرن، فاتجه إليه ليرى من المتصل وهو يقول بسره، "هل هذا الهاتف يعمل حقاً؟ لقد افتقدت صوته."

ثم رد يوسف على المتصل الذي تساءل عن هل هو 'يوسف علي' كاتب ثنائية الحياة، الروايتان اللتين لم ينالا قدراً كبيراً من الشهرة، لكن نالا قدر ويكفي أن كل من قراءهم أعجبوا بخيال كاتبهم. بعد أن رد يوسف بالموافقة، رد عليه الطرف الآخر على الهاتف قائلا، "أهلا بك، أستاذ يوسف. أنا حمدي الراوي، ممثل دار القلم الحر للنشر، ونتمنى أن تحصل دارنا شرف طبعة رواية أو كتاب من تأليفك."

فضحك يوسف ساخراً ثم قال له، "منذ متى ودور النشر هي من تتصل وتطلب طبعة لكاتب غير مشهور مثلي، وحتى لا يكتب بتلك الطريقة المنتشرة حالياً، والتي تنال الشهرة في لمح البصر؟"

فرد عليه الآخر وهو يحاول أن يستدرج عقل يوسف للموافقة. "أستاذ يوسف، نحن مثلك تماماً لا نبحث عن الشهرة، ولا حتى تلك الطريقة التي يستخدمها الكتاب لجذب القراء. نحن

نبحث عن الموهبة الحقيقة التي توجد بك ومن مثلك، ونحاول أن نصل له بشتى الطرق."

"مثلي؟"

"نعم. أتمنى أن تقبل دعوتي على العشاء غداً الساعة الثامنة ليلاً على ذلك العنوان الذي سأرسله لك في رسالة، فلدي الكثير لأقوله لك."

تنهد يوسف وأغمض عيناه ثم قال له، "موافق، أستاذ حمدي. لكن، قل لي أولا بعض الإصدارات التي أصدرتها الدار."

"شكراً لموافقتك. لدينا العديد من الإصدارات مثل: دروب الهوى، على خطى النجاح، كأولين..."

فقاطعه يوسف قائلاً، "كأولين؟"

"نعم، بالطبع. هل سمعت عن هذا الكتاب؟"

"بالطبع. حسناً، موعدنا غداً. وداعاً."

"وداعاً."

أغلق يوسف الهاتف ثم أسرع إلى ذلك الكتاب مرة أخرى، فوجد كما قال المتصل إنه من إصدار دار القلم الحر، لكن لا يوجد أسم لكاتب عليه، حتى توقيعه الذي استخدمه بعد المقدمة كاتب به 'الكاتب المجنون' بدلا عن اسمه. قرر يوسف أن يسأل حمدي، صاحب الدار، غداً. ثم جلس على كرسيه يحاول أن يصفي عقله تماماً ويسبح بخياله حتى يفعل كما وعد طبيبته ويبدأ بكتابة رواية جديدة يحبس بها مخاوفه ويتخلص منها، ويبدأ بعدها حياته من جديد. أغمض عينيه لدقائق لا يعلم عددها، ثم تدفقت الأفكار إلى رأسه وبدأ يضع بعض الكلمات على ورقة ويرسم بعقله عالم افتراضي من صنع خياله. يكتب ولا يعرف هل ما يكتبه هذا قصة حياته، أم تلك القصة التي تمنى أن يعيش بها؟ أم لا يوجد علاقة بينه وبين قصته سوى إنه مؤلفها؟ يكتب وعقله يترنح بين ما يكتبه، يحزن بحزن أشخاص روايته تارة، ويسعد بفرحهم تارة أخرى، ويبكي معهم وهو لا يشعر بعالمه الواقعي مطلقاً لدرجة إنه لم يلتفت إلى إنه استغرق من الوقت ما يقرب من خمس ساعات، وأن حجرته تحولت إلى مكب قمامة من كثرة تلك الأوراق التي يكتبها ويمزقها وهو يبدل

ويغير من أحداث روايته.
لم يلتفت إلى ما حوله إلا عندما سمع صوت جارته المعتاد وهي تصرخ بأولادها، وخاصة ابنتها نور التي بالثانوية العامة، وأخيها أسعد الذي بالفرقة الأولى بكلية الحقوق، وكأنهم سيصبحون من الأوائل من كثرة الصراخ هذا وطلبها المتكرر أن يذاكروا. ربما صراخها يجعل يوسف يضحك بعض الشيء ويخفف عنه قليلا. على الأقل لا يشعر إنه وحيداً في هذا البيت، فأحاديث تلك السيدة مع جيرانها من النافذة، أو صراخها مع أولادها يتخذها مؤنساً له.
أحس يوسف بإرهاق شديد بعد كل تركيزه في الكتابة، ومع ذلك أحس بالسعادة البالغة. أخيراً قد عاد يكتب منذ أمد بعيد نسبياً، منذ ذلك اليوم المشئوم الذي فقد فيه كل شيء. وقد غلب إرهاقه تفكيره لدرجة إنه قد غاص في نوم عميق على مكتبه الذي لم يكن عليه إلا الأوراق التي يسرد بها روايته الجديدة، وذلك الكتاب الذي لم يغب عن باله للحظة، كأولين. لم يعرف هل استغرق من النوم كثيرا أم لا؟ ولا يعلم هل هو يحلم هذه المرة أيضاً أم لا؟ بل ما يتأكد منه الآن أن هذا الكتاب بالفعل ملعوناً.
وجد نفسه في بيت يعم عليه الهدوء، لا يوجد به صوت إلا صوت ذلك البيانو التي تعزف عليه فتاة إذا وصفتها بالحسن، فهذا قليل، بل هي كل الحسن وأكثر مما يتخيل أحد. كانت تتمتع بشعر أشقر كسلاسل الذهب، والذي يجذبك إليها لتتمعن أكثر وأكثر بحسن وجهها، تلك العينان الزرقاء وذلك الوجه البديع ناصع البياض، فتجعل الناظر إليها يسبح في عالم من الجمال.
كانت تتمايل برقة بالغة مع تلك المعزوفات التي تعزفها، وكأنها تنتقل معها إلى عالم خيالي آخر تجد فيه روحها.
لم يكن يوسف قلقاً مثلما كان في حلمه الأول، لا بل كان لديه فضول لكي يعلم ما سيحدث. وكان يتوقع أن هناك من سيدخل بعد قليل يشترك معه في ملامح وجهه، وبعضاً من ملامح شخصيته أيضاً. مشي بضع خطوات حتى وصل إلى نافذة، فنظر خلالها إلى الشارع، فلاحظ أن شبح

الموت يخيم على ذلك الشارع. بعض المنازل مهدمة، وبعض الأحياء يحملون الموتى. حتى الأحياء يختبئ الموت بين ملامح وجوههم. ابتعد يوسف عن النافذة وفضل أن يسرح في تلك الحسناء حتى يحدث ما توقعه.

وبالفعل بعد دقائق من العزف الهادئ، كان هناك صوت رجل قطع صوت اللحن، فنهضت تلك الحسناء تجاه ذلك الرجل... الذي كما توقع يوسف كان يشبهه تماماً... وعانقته عناقاً طويلاً، ثم قالت له، "Amore mio-حبي، مساء الخير. لقد افتقدتك طول اليوم."

ثم نظرت إلى وجهه لتجده علامات الحزن الممزوجة باليأس كامنة في وجهه، فقررت أن تسأله عن السبب. "باولو، ما بك؟"

فتنهد باولو وأغمض عيناه، ثم قال لها، "جيسيكا، تأنيب الضمير أصبح يحاصرني. دائماً أشعر بأني خنت وطني، وجعلتكِ تخونين وطنكِ مثلي. هذا الشعور يدمرني. يدمر كل خلاياَ عقلي."

بالطبع كان يوسف منتبه لكل هذا، وعلم أن موطنهم إيطاليا، فتلك الأسماء إيطالية، وأيضاً تلك الكلمة التي قالتها جيسيكا،'amore mio' إيطالية، وتعني حبي. فتسأل يوسف ساخراً من عقله هذا، "هل سافرت هذه المرة في حلمي إلى إيطاليا بدلاً من أن أسافر بالزمن؟"

ألتفت مرة أخرى لـ جيسيكا وهي تقول لـ باولو، "حبي، نحن لسنا خائنين مطلقاً. هل أصبح من يكره العنف والحرب والدماء في هذا العالم خائناً؟ بالطبع لا. إذاً لماذا تعتقد إننا خائنين لوطننا إيطاليا؟"

"لكن..."

"أعلم ما ستقوله، لكن نحن نعيش في مصر، التي تحت الحماية البريطانية، وهي المعادية لـ ألمانيا وقوات هتلر، وإيطاليا وحاكمها مؤيدين لـ هتلر، لكن هذا كله لا يجعل منا خائنين، حبي. انظر، هتلر ديكتاتور وقاتل، وأراهن لو جاء إليه أحد العرافين وقال له إنك إذا قتلت شعبك ستسيطر على العالم، سيفعلها دون أي لحظة تردد، صدقني. ورئيس إيطاليا مثله تماماً، ديكتاتور لا يهمه سوى الحكم. نحن هاربين

من الظلم لأننا لا نستطيع أن نواجه. نحن سنصنف كخائنين إذا ذهبنا لنحارب بصف إنجلترا، لكننا لم، ولن نفعل ذلك."
فرد عليها باولو في أسى. "لكني أريد أن انتهي من هذا الشعور."
فغضبت جيسيكا وقالت له بنبرة غاضبة، "وهل ستستريح عندما تحارب لصالح هتلر المجنون هذا؟!"
فأومأ باولو رأسه بالموافقة وعيناه في الأرض.
فصرخت هي بوجهه قائلة بنبرة تجمع بين الغضب والحزن والألم. "إذا عدت لـ إيطاليا، انسني إلى الأبد. أنا لا أريد أن أكون حبيبة قاتل. أنا لا أريد أن أرى وجهك بعد الآن. هيا، أذهب، هيا. أنت لا تهمني، باولو. لا يهمني أمرك مطلقاً. ولا تحاول أن ترسل إلي أي رسائل، ولا تحاول أن تتصل بي مجدداً. أنا لا يهمني أمرك حتى لو مت في تلك الحرب، حتى لو قتلك هتلر شخصياً. أغرب عني الآن."
لم يحاول أن يهدئها مطلقاً بل اتجه ليعد حقيبته ليسافر حتى يشارك في تلك الحرب، الحرب العالمية الثانية، وتركها وهي جالسة على الأرض، تصرخ وتبكي. ثم غادر البيت وحتى لم ينظر إليها نظرة الوداع، لم يقل لها وداعاً. بمجرد أن خرج أصبح صراخها يزداد ويزداد حتى سقطت مغشي عليها في وسط الغرفة، وقبل أن يقترب يوسف منها، وجد نفسه على كرسيه في مكتبه وفي وسط كومة الورق...

روايات خيالية حصرية تصدر على منتديات
شبكة روايتي الثقافية.
www.rewity.com

اليوم الثالث
ورد

فرك يوسف عيناه يحاول أن يستوعب الحلم الجديد الذي يحكي عن الفتاة الإيطالية الجميلة وحبيبها في ظل الحرب العالمية الثانية، فضحك ساخراً، قائلا لنفسه، "عجيب عقلي هذا! مرة إلى ثورة يوليو، ومرة إلى الحرب العالمية! إلى أين ستكون المرة القادمة، إلى حكم الخديوي مثلا؟ وأيضاً، كل مرة أفوق من الحلم في أكثر الأحداث تشويقاً، كأن عقلي يرد لي حق القراء عندما انهي الفصل على أكثر الأحداث تشويقاً."

ثم مسك يوسف الكتاب مرة أخرى وأخذ يقلب في صفحاته وهو على حيرة من أمره، فكما توقع وجد ورقة أخرى في هذا الكتاب مكتوب عليها: اليوم الثاني... أحبك.

نهض وجاء بالورقة الأولى ووضعهما أمامه على المكتب جوار الكتاب، وظل شارداً بهم حتى قطع صمته وتفكيره صراخ جارته بأولادها كالعادة، مما جعله يتنهد ضاحكاً وهو يقول، "مجدداً." ثم نظر إلى الساعة ليجدها الحادية عشرة صباحاً، فنهض ليرتب حجرته وكومة الورق التي حوله، حتى سمع دق الباب، فاتجه إليه ليجد نور جارته، هي من تدق بابه.

ابتسم لها قائلا، "أهلا صديقتي. لا تحرمين من صراخ والدتك لك طوال اليوم؟"

كانت نور، برغم إنها تصغره بما يزيد عن عشرة أعوام، صديقته المقربة التي يجد بها أفكاره دائماً، ويشعر إنها شبيهة أفكاره، وتبحث دائماً على أن تكون متفردة بما تفعله. لا تريد أن تسير في القطيع، لا تريد أن تسير خلاف كلام الناس وأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم، معصوبة العين دون تفكير. ولا تجد أحداً يشجعها على ذلك سوى صديقها يوسف، لذلك كلما تقع في مشكلة، أو تمل من مشاحنات والدتها، أو يلمس اليأس قلبها للحظات، تأتي لتحكي له ما يزعجها.

ضحكت له قائلة، "كالعادة ليس لدي سواك لأقص عليه قصصي العجيبة."

هز رأسه ضاحكاً، ثم قال لها، "كالعادة ليس لدي سواك لأسمع قصصه العجيبة."

ابتسمت له قائلة، "لا أعلم لماذا، يوسف، لكني

اعتقد إنك صديق لا يعوض. تساعدني في أخذ قراراتي الغريبة، وتسمع مشاكلي وتحلها معي. لا أجد في حياتي شخصاً مثلك."

صمت للحظات ثم قال لها، "إنك تشبهينني تماماً، يا صديقتي، في أفكاري وفي كل شيء، لذلك أخاف عليك أن تتعرضي لما تعرضت له. أريد أن أساعدك، أن تصبح حياتك أفضل وأقوى في مجتمع يعتبر كل ما يفكر بطريقة جديدة ومبدعة مخطأ. مجتمع يحارب كل ما هو مختلف دون أن يعين هل هذا الاختلاف سيء أم لا. مجتمع تتحكم فيه قيود التقاليد والماضي دون أن يجدد أو يلتفت إلى المستقبل مطلقاً. مجتمع يخاف من طموح المرأة ويخاف عندما يزداد أن يتحول إلى فجور. يرفض أن تبحث حتى عن حقها، يقبل لها التحرش والإهانة على حسب ألا تتصدى للتحرش، حتى لا تصبح بلا حياء في نظرتهم. يقبل لها الضرب والخيانة والسب والإهانة والألم، على أن تتصدى لزوجها الخائن، حتى لا تصبح تريد خراب بيتها وتدمير حياة أطفالها. مجتمع يلوم الشباب دائماً على أخطاء لم يكونوا سبباً بها، ويعتقدون إنهم يملكون طاقة سحرية يستطيعون تحويل الأرض البور إلى الأخضر في أقل من دقائق. مجتمع ممتلئ بأشخاص ينتقدون ما حولهم ولا ينظرون لنفسهم في المرآة. حتى أنا الآن، انتقد المجتمع ولا أنظر لعيوبي الآن، وأتناسى إني خائف من كل شيء حولي، أتناسي خوفي من أن أقرر التجربة وخائف من أن أعبر عن ما يشغل قلبي. خائف حتى من مواجهه نفسي، وأهرب دائماً من كل مواجهاتي. ولا أعلم إلى متى سأظل أهرب من كل شيء."

"لا تكن قاسياً على حكم روحك بهذا الشكل."

"بل يجب، نور. يجب لكي تصل إلى طريقها المستقيم، ولكي تستعيد روحي روحها من جديد. لا عليكِ، نور. المهم، قصي لي ما كنتِ تريدين."

ضحكت نور له قائلة وهي تحاول أن تخفف عنه بمزاحها. "آه، تريدني أن أنشغل في أحاديثك وحكايتي لكي تتهرب من تقديم مشروباً. أنا لا أنسى، يوسف. هيا أعد لي مشروباً أولا. أو لدي

فكرة أفضل، سنعد المشروب معاً وأنا أحكي لك."
ابتسم لها دون أن ينطق بحرف، ثم اتجه أمامها إلى المطبخ.
قطع صمتهم صوت نور وهي تقول، "هل يمكنك يوماً أن تسامح خائناً؟"
نظر لها بدهشة قاطباً حاجبيه، قائلاً لها، "ماذا تعنين؟ أنا لا أفهمك مطلقاً!"
ردت عليه قائلة بشيء من التوتر، "هذا مجرد سؤال، لماذا لا تستطيع فهمه؟ أنا أتساءل فقط، هل يمكنكَ أن تسامح خائناً؟"
هز رأسه قائلاً، "بالطبع لا. الخائن دائماً صديق. عدوك لا يستطيع أن يخونك، لأنك دائماً تأخذ حذرك منه. المشكلة بالصديق... هو الذي يعرف كل أسرارك وخباياك ويستغلها لمصلحته، هو الذي يستطيع أن يبيع أسرارك. من الخطأ أن يسامح أي شخص رجل خائن كهذا."
"لكن من الممكن أن يكون هناك ظروف جعلته يخون."
"الصديق الحقيقي لا يخون، نور. مهما كانت الظروف."
صمتت نور لدقائق، ثم اتجهت إلى الخارج لتجد على مكتبه بعض الأوراق التي كان يسرد بها روايته، فأخذت تقرأ بها قليلاً. ثم قالت له، "يوسف، هل بدأت بكتابة رواية جديدة؟ هذا أمر جيد حقاً! عن ماذا هذهِ الرواية؟"
ابتسم لها قائلاً، "عن الحب، عن الهوى الذي قتل، عن تلك المشاعر التي نقتلها بداخلنا ونتهرب منها. أحاول أن أجعل ذكرى لتلك المشاعر، ولو حتى على الورق."
ابتسمت له، ثم نظرت إلى الساعة وقالت له، "يجب أن أرحل الآن، لقد أقترب موعد وصول أمي، وستكون مشكلة كبيرة أن لم تجدني بالمنزل. وداعاً، صديقي."
ابتسم وهو يلوح لها قائلاً لها، "وداعاً."
ثم أتجه إلى مكتبهِ ثم أمسك بالكتاب اللعين 'كأولين' قائلاً، "حسناً، سأعرف سرك اليوم. وسأعرف حقاً هل تلك الأحلام التي تراودني بسببك أم لا. مساء اليوم سيتضح كل شيء."

ثم قرر أن يذهب إلى عيادة الطبيبة نادين قبل أن يعد نفسه للقائه الهام مساء هذهِ الليلة مع ممثل الدار. بمجرد أن ذهب إلى نادينَ حكا لها حلمه الثاني.

قالت له، "هل أنت متأكد إنك تحلم؟ أعني، من الممكن أن تكون ترى كل هذا وأنت مستيقظ، أتفهمني؟"

"تعنين إني أهلوس؟"

"ربما، فالوحدة، يوسف، قد تفعل أكثر من هذا. أو ربما هو مجرد ضغط عليك تخرجه على هيئة مشاعر في قصص تجول في بالك. لا يهم، كل شيء وله حل، يوسف. ربما يجب عليك أن تتبع المشكلة أكثر من هذا، وأن تربط بين تلك القصص التي تشاهدها في حلمك أو خيالك وبين حياتك. ربما عقلك يؤلف لك تلك القصص ليصل إلى شيء أو مشكلة بحياتك. سأكتب لك دواءاً قد يقودك إلى التحسن. وإذا حلمت مرة أخرى، أو استطعت أن تربط بين أحلامك وحياتك، لا تتأخر في إخباري، أرجوك."

صمت يوسف لثواني، ثم قال لها، "لماذا لا تعتقدين أن الكتاب سبباً في هذا، نادين؟ من الممكن أن يكون ملعوناً كما كان مكتوب به، وكل ما يحدث لي بسببه."

"لا أعتقد هذا مطلقاً. هذا مجرد هراء، يوسف، لا تضعه ببالك مطلقاً. نحن لسنا بالعصور الوسطى وزمان الأشباح واللعنات، يوسف. من الممكن أن كل هذا يحدث بسبب تفكيرك الزائد في سر هذا الكتاب الذي لا سر له بالأساس. يجب أن تكف عن التفكير بهذهِ الطريقة، فهذا قد يؤذيك."

"سأحاول."

"يجب أن تحاول حقاً. لكن صحيح، كدتُ أن أنسى، حدثتني المرة الماضية عن حب لك، هل اعترفت لصاحبته؟"

تنهد يوسف قائلاً. "سأخبرها قريباً... قريباً جداً. لكني أريد أن أخبرك بأمر آخر قد يكون له أساعدك أو بداية علاج لي."

"حقاً، ماذا فعلت؟"

"كما طلبتِ مني، بدأتُ في كتابة رواية

جديدة، ولدي موعد اليوم مع دار نشر. لقد قررتُ أن أخرج من عزلتي تلك، وألا أجعل تلك المشكلة مهما كانت كبيرة وأهلكت روحي أن تدمر حياتي أكثر من هذا."

ابتسمت له نادين وبعينيها شيء من الحماسة قائلة، "لا تعلم كم فرحت عندما سمعت منك هذا الكلام، يوسف. هذا سيؤثر بصفة جيدة على حالتك. أتمني أن تأخذ بكلامي وتعترف لحبيبتك بحبك هذا. سيسعدك أن تبني حياة جديدة بدل من التي قد تدمرت."

"أعدك أن أخبرها قريباً. أنا قررت حقاً أن أتغير لها ولروحي. وداعاً، نادين. يجب أن أذهب حتى استعد لموعدي."

"وداعاً، يوسف."

*****

'يبدو إنني تعلمتُ هذا الشيء عنك أيضاً. تعلمتُ أن أخبر الورق بأسراري التي لا يستطيع لساني أن ينطقها، وأخبر عن هواك الورق لأني لا استطيع أن أصارحك به، فأنا أحبك. لا أعرف متى؟ كيف؟ أين؟ ولا أعلم لماذا رغم أن كل تلك الظروف تعاندنا. لا أعلم هل أحبك لأنك الوحيد من وقف جواري وأحس بحلمي وغايتي؟ أم لأنك الوحيد الذي أقص له أسراري دون أن أخاف؟ أم لأنك صديقي الوحيد؟ أو قد أحبك بدون سبب، المهم إني أحبك وهذا هو الشيء الحقيقي الوحيد في حياتي. فأنا أحياناً أحيد عن حلمي وغايتي، أحياناً أتمنى لو أهرب من أمي وعائلتي الذين يعتقدون إنني عجينة يشكلونها كما يريدون. لكني دائماً أحبك ودائما أثق بذلك الحب، وأعلم إنه لن يتغير. وأن كان حبك حلم، فهو لي أفضل من ألف حقيقة. وأن كان خيال، فهو أجمل من ألف واقع. أعلم أن كل الظروف معادية لهذا الحب، لكن مهمتي هي أن أحمي هذا الحب حتى يصل إليك وتحبني كما أحببتك. أعلم أن فرق العمر بيننا قد يكون اعتراض، وأن مشاكلك القديمة قد تكون اعتراض، وأن ماضيك قد يكون اعتراض، لكن لا يهمني ماضيك، فأنا عشته معك، وأعلم إنك مظلوم حتى وأن أثبت الجميع غير ذلك. ولا يهمني عمرك، بل يهمني

قلبك. لكني للأسف لا استطيع أن أبوح لك بمثل هذا الحب، لكن يكفي أنني استطيع أن أبوح للورق بذلك، يوسف، مثلك تماماً. وسأكتب لك كلما اشتاق إليك. وعندما أستطيع أن أخبرك بحبي، سأجعلك تقرأ كل هذه الرسائل، يا يوسف. سأجعلك تعلم كم قلب نور ينبض بحبك، وكم تعذب فؤادها عند حزنك، فأنا أحببت فأخفيت حبي، فلا مني أصبحت حبيبة، ولا مني ظللت دون حب.'

أحست نور وهي تكتب تلك الكلمات بالقوة، فهي استطاعت أن تشرك الورق همها ومشاعرها مثلما تعلمت من يوسف. برغم أنها لا تستطيع أن تقنع أحد بحبها هذا، ولا حتى يوسف، لكن أيمانها كان قوياً أن حبها سيخرج للنور يوماً، مثلما أقتحم قلبها فجأة، سيظهر فجأة أيضاً.

عندما سمعت نور صوت أمها بالخارج، نهضت سريعاً لتدس ذلك الجواب في أشياءها حتى لا يقرأه أحد. وقبل أن تفتح أمها باب غرفتها، كانت قد خبأت الجواب وأتت بكتاب لتضعه أمامها، لتمثل أمام والدتها إنها تذاكر.

في الوقت نفسه كان يوسف في طريقه إلى موعده الذي كان متشوق له كثيراً، ليس ليمضي عقد رواية أو كتاب له، إنما ليعرف أكثر عن كتاب كأولين، فهو لا يصدق ما تقوله نادين مطلقا، أنه مجرد خيال بداخله، بل هو واثق أن الكتاب له سر آخر. سر كبير.

وصل يوسف موعده متأخراً بضعة دقائق، وعندما وصل، كان باله وعقله وكيانه لا يفكرون في أي شيء سوى 'كأولين'. كان يهمه أمر ذلك الكتاب أكثر من أمره هو شخصياً، أكثر من أن يطبع له كتاباً أو أي شيء. كان التفكير في ذلك الكتاب مسيطر عليه بطريقة جعلته ينسى حتى أسم ذلك الرجل الذي ذهب لمقابلته.

عندما وصل إليه قال يوسف له، "أهلاً يا..."

فابتسم له الرجل قائلا، "حمدي... اسمي حمدي. توقعت أن أرى حالك هكذا عندما علمت منك في الهاتف إنك قرأت كتاب كأولين، لكني لم أتوقع أن يصل حالك لتلك الدرجة. إن تنسى أسمي مثلا. أهلاً بك، أستاذ يوسف."

صمت يوسف لدقائق ثم وجد نفسه يبوح لهذا الرجل بما يجول بخاطره. "هل هذا يعني أن هناك شيء غريب حول هذا الكتاب، صحيح؟ هذا يعني إنني لا أهلوس. قص لي قصة هذا الكتاب، ومن الكاتب، وما قصته. هل هو حقاً لعنة مثلما قال الكاتب؟"

تحول وجه الرجل من الابتسامة إلى الدهشة، فهز رأسه وقطب حاجبيه قائلاً، "لم أتوقع أن هذا الكتاب شغل تفكيرك بهذهِ السرعة مثلما فعل مع من سبقك إليه بالقراءة. حتى أنا لم أعلم سر هذا الكتاب، ولماذا صاحب الدار أصر على إصداره رغم أن الشخص الذي قام بتقييمه من لجنة التقييم ظل عدة أيام يهلوس بأشياء غريبة وأنه يسافر إلى عوالم أخرى ويتحدث مع أشخاص آخرين، وقد انتهت حالته هذهِ للأسف بالانتحار. وهناك الكثير من الأشخاص حاولوا التواصل معنا بعد قراءتهم لهذا الكتاب، لكننا لم نجيب عن أي أحد منهم، لأننا مثلهم تماماً لا نعرف أي شيء عن هذا الكتاب."

ارتسمت معالم الغضب في ملامح يوسف، ثم قاطع الرجل قائلاً بنبرة غاضبة. "ماذا؟ لا تعرف شيئاً، ولا حتى اسم الكاتب! ما هذا الجنون؟ وكيف وصل الكتاب إلى الدار، ومن آتى به للدار، ولماذا تمت طباعته؟"

حاول الرجل أن يهدأ من روع وغضب يوسف قائلاً، "سيدي، أنا مثلك تماماً أتساءل لماذا، وأسأل نفسي دوماً هذهِ الأسئلة، لكني لا أجد لها حلا أو إجابة. أن صاحب الدار الوحيد الذي يعلم كل شيء، ويرفض مناقشة أي شخص في هذا الكتاب. هو من استلم الكتاب، وهو من أصر على طبعاته رغم أن كل من بالدار قال له لا."

نهض يوسف وهو في حالة من الغضب، وقرر أن يرحل دون أن يكمل حديثه مع هذا الرجل. لكن بمجرد أن استدار، امسك حمدي بيده قائلاً، "أعلم، سيدي، أن حالتك الآن لا تسمح مطلقاً لأي حديث أو نقاش، لذلك لن أتكلم معك على كتابك حتى تتصل بي أنت. لكن احذر، سيدي، لم أعرف حتى الآن شخصاً قرأ هذا الكتاب وهرب من فكرة الانتحار أو الجنون. حاول أن تصبح أقوى من هذا الكتاب ولعنته،

وحاول أن تحل الألغاز التي بالأحلام، وحاول أن تعلم الرسائل والاسقاط. حاول أن تصبح أقوى."
ثم رحل كل منهم لجهته.
بمجرد أن وصل يوسف إلى منزله، جلس على كرسيه وتنهد، ثم اسند رأسه إلى الخلف وأغمض عيناه للحظات.
ظل الصمت يحوم حوله حتى قطع صمته صوت سمعه يقول، "أرجوك، لا تتركني، فؤاد. أرجوك، سأحارب الجميع لأجلك. لكن عدني بذلك أيضاً، فأنا أحبك. أحبك حتى لو أنا الأميرة ورد، وأنت الخادم فؤاد."

روايات خيالية حصرية تصدر على منتديات
شبكة روايتي الثقافية
www.rewity.com

لقصر الخديوي أسرار

فتح عيناه ليجد نفسه في قصر لم يتخيل يوسف أن يرى مثله من قبل، لم يمر بخياله حتى أن يرى كل هذا الجمال والأناقة والعراقة. فقد توقع أن هذا القصر لسلطان عظيم، وتساءل بينه وبين نفسه هل عقله سافر هذهِ المرة إلى أسطورة بدلاً من أن يسافر في التاريخ القديم. ظل لفترة يراقب جمال القصر وبهوه، ثم سار حتى قادته قدمه إليها. فتاة يكتمل جمالها بتاجها المرصع بالياقوت والمصنوع من الذهب الخالص، فكانت ذات ملامح عربية أصيلة من العيون الواسعة البندقية التي تسحر كل ما ينظر بها، وشعرها الطويل الأسود، والذي قد تختال إنه قطعة من الحرير، ووجه مشرب بماء الورد، جاعلاً وجنتيها حمراء كالورد. ولكن كما كان بعينيها الجميلتين سحراً، كان بهم أيضاً دموع، دموع لعاشقة قد ميت وأحي قلبها في حبها ألف مرة، وكأن ذنب قلبها إنه فقط أحب في قصر حيث الحب يعتبر جريمة مادام ليس للخديوي. قصر شيمته الصمت على قرارات الخديوي، الذي تربى على القسوة التي تعلمها من جدته بعد وفاة أمه في صغره، فبعد أن شرب القسوة من جدته أخذ يحكم بها، حتى في أهله وحتى على ابنته، ورد. فالخديوي قرر أن يزوج ابنته لأحد أعيانه ومساعديه في بلدته، خورشيد باشا، ولم يمنعه عن فعل هذا حتى معرفته بأن قلب ابنته مع شخص آخر، وأن ابنته في مثل عمر أولاد خورشيد باشا من زوجته الأخرى. وكأنه يعاقب ابنته على أن قلبها أحب، وكأن حبها كان جرمها الوحيد في قصر يعتبر الحب جريمة. لم يحترم جلالة الخديوي مشاعر ابنته، الأميرة ورد. ولم تكن شيمتها سوى البكاء، ولم يشغل تفكيرها سوى الهروب. الهروب من ذلك المصير الذي يريده لها أبيها، والذي سيدمر لها قلبها وروحها.

كان يوسف يراقب هذا الجمال الحزين بعناية، ويشعر بنفس ذلك الشعور الذي شعره عند رأى وجه سميحة أو جيسيكا، بأنه رأى ذلك الوجه من قبل. بل وشعر هذهِ المرة بأن النساء الثلاثة يحملون نفس الشكل، لكن رغم هذا هو يشعر إنه تعرف عليهم في الواقع من قبل، قبل تلك الأحلام التي تراوده. لم يقطع تركيزه في تلك

الأميرة سوى دخول رجل في زي يظهر إنه للخدم إلي حجرتها، لكنه دخل دون إذن من الأميرة مثل باقي الخدم، بل دخل إليها مسرعاً وكأنه يتهرب من أحد. وبمجرد أن رأت وجهه، الأميرة ابتسمت له ابتسامة جميلة ظهرت بين دموعها مثلما يظهر القمر بين السحاب بعد المطر. رفعت يديها إلى وجهها لتمسح دموعها، بينما هو بدون أي مقدمات ضمها إليه دون أن ينطق أياً منهم بأي كلمة.

لم يشغل بال يوسف في تلك اللحظة إلا سؤالاً واحداً، لماذا هذا الرجل لا يشبهه مثل رجال القصص الأخرى؟! كان هذا الرجل مختلفاً تماماً عنه، كان طويلاً، مفتول العضلات، داكن البشرة. كان بالفعل ابعد ما يكون عنه وعن ملامحه، مما تسبب في ثوران عقل يوسف، لكنه قرر -أو ليس لديه سوى ذلك- أن يراقب ما سيحدث.

سمع صوت الأميرة ورد خافتاً تقول لذلك الشخص، "أرجوك لا تتركني، فؤاد، أرجوك. سأحارب الجميع لأجلك، لكن عدني بذلك أيضاً، فأنا احبك. أحبك حتى لو أنا الأميرة ورد، وأنت الخادم فؤاد."

رد عليها بنبرة انكسار وهو يمرر يده ببطيء على خصل شعرها الناعمة. "خوفي عليكِ يفوق الحب. تعلمين، لو دخل جلالته الآن إلى الحجرة ووجدنا معاً، لا استبعد أن يقتلنا معاً. أن أفرط فيك صعب، لكن الأصعب أن تتأذي بسبب التمسك بكِ."

ابتعدت عنه قليلاً ثم قالت له بصوت ممتلئ بالأسى، "لا يجتمع الحب والخوف في قلب واحد، يا فؤاد. الحب يعلم القلب ألا يخاف. لقد كان لي مائة سبب وسبب أن أخاف وابتعد عن حبك، ولم استجب لهذا الخوف. أرجوك استجب لرغبتي، ليس لدينا حلاً آخر، يجب أن نهرب سوياً ونتزوج بعيداً عن هذا القصر وعن أبي. نتزوج قبل أن أتزوج خورشيد باشا، الذي يقترب من عمر أبي ولديه أولاد في مثل عمري."

صمت لدقائق ثم قال لها، "نهرب...؟ إلى أين؟ هل يوجد مهرب حقاً من الخديوي؟ إذا ذهبنا إلى آخر العالم سيعلم مكاننا، ووقتها سيقتلنا، ولن يشفع

عنده إنك ابنته مطلقاً."
فقالت له بنبرة قد بدا بها الانزعاج واليأس، "تريد أن تصمت، وتجعلني أصمت. تريدني أن أتحول لمجرد صفقة يعقدها أبي مع خورشيد باشا. لم أعلم إنك ستتنازل عني بهذهِ السهولة."
قطب حاجبيه وقال لها في ضيق، "أتنازل عنكِ؟ حقاً تعتقدين هذا؟ أنا أتمنى لو أقاتل خورشيد باشا وجلالة الخديوي والقصر بأكمله لكي أحصل عليكِ. يعلم الله أنني لم أفعل ذلك فقط لخوفي عليك، فأرجوك لا تعذبيني بكلامك."
ردت عليه في صرامة، "أفضل أن أموت جارك عن أن أعيش بين يدي خورشيد باشا. أرجوك، سنهرب إلى مكان ولم يعرف جلالة الخديوي."
رفع يده ليمسح دموعها السائلة على وجنتيها. ثم قال لها، "انسني، ورد، وأنسي كل شيء جميل بيننا وأصبحي عروس جميلة لـ خورشيد باشا كما يريد والدك، هذا أفضل للجميع."
فازدادت في البكاء حرقة، ثم قالت له، "فؤاد، تريدني أن أنسى حبك؟ لماذا إذاً وعدتني بكل تلك الوعود؟ لماذا وعدتني إنك ستحارب الدنيا من أجلي؟ هل نسيت كل هذهِ الوعود؟ هل نسيت حبي فؤاد؟"
"ورد لم أنسى شيء، لكني أريد مصلحتك. أرجوكِ، أفعلي ما أقوله لكِ، ورد."
"الأميرة ورد التي كسرت قلبها، أيها الخادم فؤاد. أغرب عن وجهي، لا أريد رؤيتك مرة أخرى."
ابتعد عنها بعض الخطوات وكان يحارب نفسه بأقصى طاقة ألا يجري إليها ليضمها إليه حتى يرتوي منها، لكن حرمانه منها وأن يحاول جاهداً أن يجعلها تنساه برغم إنه قرر ألا يكون لغيرها أرحم من أن يراها تتأذى. لم يعلم أنها ستتأذى فقط لأنها بعيدة عنه، وأن قلبها لا يوجد به سواه -وحتى وأن قال لسانها غير ذلك- كما إنها لم تعلم كم قلبه يتحرق لكي يضمها. لم تعلم بأنه يتمنى أن يفقد روحه في سبيلها وألا يراها تتأذى. فظلت في حجرتها لحظات من الصمت الظاهري عليهم، ولكن لم يكن هذا الصمت

شبمه العين التي تتمنى أن تفقد نورها على أن ترى غير حبيبها، وكان القلب يتمني أن يضم القلب، وكانت الأرواح متلاصقة وحتى أن كانت الأجساد متباعدة.

لم يدم ذاك الصمت الظاهري طويلاً عليهم حتى جريت ورد لحضن فؤاد كطفلة تجري لحضن أبيها، فلم يتمالك نفسه ووجد نفسه يضمها بشدة وهو يقبل جبهتها. "أحبك." أخذ يردد تلك الكلمة كثيراً وكأنه فقد السيطرة على لسانه، ولم تستطع هي أن تفعل شيئاً سوى البكاء.

كل هذا ويوسف في الحجرة يراقب تلك المشاعر التي قد انقرضت في زمنه. يجد أمامه ذاك الحب الحقيقي الذي حطم كل القيود بين الأميرة بنت الخديوي وجعل قلبها يعشق خادم دون أن تنظر هل حبيبها لديه المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي سيسعدها. وهو لم ينظر إلى إنها ابنة الخديوي وإنه يجب أن يحبها لكي يرث السلطة والمال والنفوذ، بل يريد أن يحرم نفسه منها عن أن تعاني من والدها. ليس مثل علاقات الحب المنتشرة في زمن يوسف، التي تبدأ بـ 'أد' وتنتهي بـ 'بلوك'، تقوم فيه الحبيبة بتحليل مستوى عائلة حبيبها الاقتصادي والاجتماعي مثل أفضل خبير اقتصادي في البلدة، وأن انتهت من هذا دخلت في هل يناسب طوله طولها، وهل لون بشرته سيناسب لون بشرتها في صور حفل زفافهم، وهل سيكون رائعاً بتلك الذقن أم لا، وتنسي أن تظفر بصاحب الأخلاق. وهو أيضاً يجب أن يكون ذكياً في اختيار شريكته، فهو يعلم كم ستكون الحياة صعبة برتبه، فيجب أن يحصل علي سيدة تعمل ولدى والدها مبلغ كبير لترثه الفتاة لكي يخطط لمشروع حياته به، ويجب أيضاً أن تكون جميلة -ظاهرياً- وينسى إنه يجب أن يفوز بذات الأخلاق، لكي يقال إنها تربت على يداه حقاً. وبعد ذلك لا تتم تلك العلاقة، وأن تمت لن تستمر طويلاً، فتلك الاختيارات والنظريات العجيبة قد تكون مبرراً كبيراً للانفصال، فنحن الآن في زمن قد مات فيه الحب والمشاعر الحقيقية.

طال وقت بقاء ورد بين يدي فؤاد، وطال تفكير يوسف بتلك المشاعر. رغم أن ذاك الرجل لم يكن نسخة منه، لكن يوسف أعترف إنه كان الأكثر إخلاصاً بين تلك القصص الثلاث. لكن قطع التفكير والعناق تلك الدقات على باب حجرة الأميرة، مما جعلها تشعر أن قلبها سيهرب من مكانه، فحاول هو أن يهدئها لكي تقول بصوت متوتر، "من؟"

فلم يرد طارق الباب، بل قام بفتح الباب قبل أن يعطي لـ ورد وفؤاد أي فرصة لتعديل الوضع. بمجرد أن دخل شحب لون ورد، ثم قالت في خوف شديد، "نوار باشا!"

*****

قد أصيبت بحالة شديدة من الاكتئاب فلم تتخيل أن يتركها حبيبها باولو في مصر ويسافر لكي يحارب. لم تتخيل جيسيكا أن يتركها بتلك السهولة. أخذت الوحدة والحزن والاكتئاب تأكل في جسدها، ظلت أيام لا ترى ضوء الشمس ولا تنهض من سريرها. تارة تفكر فيه وفي حاله في الحرب وتتمنى أن ترسل له جواب تتساءل فيه عنه، وتارة أخرى تتمني أن تمحو أسمه من ذاكرتها وحبه من قلبها. حيناً تجري إلى باب وتفتحه متمنية أن يكون خلفه أو حتى جواب منه، وحيناً تجري إلى صورة له وتمزقها. مرة تحلم إنها تجري إلى حضنه وتقبل جبينه، ومرة تحلم إنها تجري إليه بمسدس وتصوب رصاصتها لجبينه.

ظلت العديد من الأيام لا تخرج من بيتها ولا تريد أن تقابل أحدهم، لكن لم يدم ذاك الصمت والعزلة طويلاً -رغم دوام الحزن عليها- فأخذ الجوع ينهش أحشاءها بعد انتهاء كل الأموال التي معها، فقررت أن تخرج من حالة اليأس التي هي بها وأن تجد لها عملاً وحياة جديدة في الإسكندرية. في حالها فتاة إيطالية في بلد غريب عنها وكذلك عاداته ومهامه، لم يكن لها وظيفة مناسبة سوى أن تعمل راقصة في حانة... أو كما تسمى في الإسكندرية في ذلك الوقت 'كرخانة'... فقررت أن تعمل فيها خلف راقصة وصاحبة الكرخانة التي تدعى إحسان. كانت إحسان

سيدة في الثلاثين من عمرها، لكنها لا تعترف بذلك أبداً، تريد أن تقنع جميع من يراها إنها لم تتم العشرين، حتى لم تكن بشديدة الجمال التي تجعلك تذوب في جمالها، ولم تكن بالقبيحة، بل كانت متوسطة الجمال، تشبه نساء تلك الفترة في الشكل والأزياء، وكل ما كان يميزها حقاً هو شعرها الطويل جداً وشديد النعومة، وتلك القهوة التي كانت تصنعها لتجعلك تذوب في الفنجان، وعادةً ما تطلب منها أن تقدم لك آخر. كان لها سحراً خاصاً في القهوة حقاً، وكانت رغم عجرفتها طيبة قلب لينة تتميز بالشهامة التي تتميز بها نساء الإسكندرية، وربما تميزت بشيء من جرأة البحر أيضاً.

عندما ذهبت لها جيسيكا وقصت لها قصتها بالكامل، رقت لحالها وقالت لها، "رغم إنني لا أحب أن أعمل مع أجانب، سواء إنجليز أو ألمان أو إيطاليين، لكني سأجعلكِ تعملين معي." وطلبت من جيسيكا أن تعمل معها تحت أسم مصري مستعار ودون أن تخبر أحداً عن جنسيتها الحقيقية، فوافقتها جيسيكا دون أن تتساءل عن السبب، وعملت معها تحت أسم صفا.

كانت تحب أن تستمع لأحاديث إحسان المضحكة وطريقتها المضحكة في الحديث عن الناس، وكأن هوايتها الأولى أن تتحدث عن الناس وتعرف خباياهم وأسرارهم. كانت لا تحب أن تتعامل مع الإنجليز وحتى كزبون لها في الكرخانة، فكانت تقول دائما أنهم يتسمون بالبرود، وكانت تقول إنها كلما قابلت إنجليزي في إحدى شوارع الإسكندرية تمنت أن تطعنه بخنجر في قلبه رغم إنها ضيقة الأفق في أمور السياسة وما شابه، ولا تعلم كم تأذى وطنها بسبب الاحتلال الإنجليزي، لكنها كانت تقول إنهم أنجاس يجلسون في أرض مصر التي أولى بها أهلها ويتنفسون هواء ليس لهم.

كانت السيدة إحسان وحيدة أيضاً بعد أن مات زوجها في الحرب بعد عام واحد من زواجهم، دون أن تنجب منه، ولطبيعة عملها لم تتزوج مرة أخرى، فطلبت من جيسيكا أن تعيش معها في بيتها. في أول الأمر رفضت جيسيكا، ولكن

بعدما أطمئنت لتلك السيدة، قررت أن تعيش معها بدلاً عن وحدتها. كانت تحاول بكل الطرق أن تشغل بالها بشيء آخر غير باولو وحاله الآن، لكن قلبها كان يخفق محاولات عقلها في النسيان، ولم يكن لديها شيء لتفعله سوى أن تكتب. تكتب كل شيء يحدث لها منذ أن تفتح عينيها حتى تخلد للنوم. كل أحداث يومها والكرخانة وإحسان وأحاديثها التي لا تنتهي عن ذلك الزبون التي حاولت أن تنسي جيسيكا باولو به، لكن فشلت فشلاً ذريعاً في هذا ولم تتحدث معه سوى مرتين، وبعد ذلك أضحت تهرب منه برغم إنه قال لـ إحسان مراراً وتكراراً إنه يحب جيسيكا 'صفا'. لكنها لم تستطع أن تنسى زوجها وحبيبها الذي مر شهرين على بعده، ولم يصل عنه أي خبر ولم يتذكرها بجواب واحد.

ظلت الأيام تأتي تباعاً ولا خبر عنه، كل يوم وقلقها عليه يزداد، ولكنها تكابر وتعاند قلبها وتقول له أن الأيام ومرورها سيجعلها تنساه، لكن كانت كلما تتقدم خطوة في أن تتناساه تعود للخلف ألف خطوة، حتى جاء ذاك اليوم الذي اكتشفت به إنها حبلي في شهرها الثالث. لم تعلم، هل هذا وميض الأمل الذي أتي ليخبر قلبها أن لحبيبها عودة؟ أم إنه نار لقلبها يريد أن يوقظ به آلام الفراق؟ لم تعلم ماذا تفعل، أو حتى ماذا تريد، فقررت أن تقول للسيدة إحسان، لعلها ترشدها.

فقالت لها إحسان، "رغم إنني تعلمتُ ألا أثق بالرجال مطلقاً، أو إنهم سيعودون بعد غيابهم، لكن الله لا يفعل شيء إلا لسبب. يمكن أن الله قرر أن يرزقك بتلك الروح الصغيرة لتعود لروحك الأمان والسعادة."

فردت عليها جيسيكا في تردد، "لكني أخاف أن يأتي هذا الطفل ولا يجد له أب أو مأوى."

فردت عليها إحسان، "لا تخافي، كل شيء سيدبره الله لهذا الصغير. وما بيدي إلا أن أعتني بكِ حتى يأتي هذا الصغير."

ابتسمت لها جيسيكا ثم قالت لها، "الشيء الوحيد الجميل الذي حدث لي عندما تركني باولو هو إنني تعرفت عليكِ."

فضمتها إليها إحسان وجففت دموعها، ثم قالت لها ضاحكة، "الشيء الجميل الذي حدث لي عندما تركني زوجي، إنني لم أنجب، فلا أحد يظن إنني كبرت، بل الجميع يظنني عشرينية، حتى أحببتُ ذاك الظن أيضاً وأصبحتُ متيقنة إنني لا أكبر. هيا، يا صفا. سأتخرج أنا هكذا على الكرخانة، خمس دقائق أخرى وستجدين الزبائن يأتون إلى هنا. وداعاً."

فلوحت لها جيسيكا أيضاً وداعاً. وبعد أن خرجت إحسان لم تعرف جيسيكا لماذا، لكنها قررت أن تذهب إلى منزلها هي وحبيبها، لعلها تجده قد أرسل لها جواباً بعد بعده عنها ثلاثة أشهر. ذهبت هناك وأخذت تدير مفتاحها في الباب، لكنه لم يفتح، فكررت هذا أكثر من مرة، فلم تحصل على أي نتيجة، فتعالت دقات قلبها وأخذت تدق على الباب بكل عنف، تريد أن تفهم لماذا لا يفتح الباب. حتى أحست أن هناك شخصاً خلف الباب أتى ليفتح لها، وظل يفتح الباب ببطء، ولكن قبل أن ترى جيسيكا وجه من يفتح لها الباب، أصابها أحدهم بضربة على رأسها من خلفها جعلتها تفقد وعيها وتسقط على الأرض.

*****

لم يعرف يوسف ماذا يحدث، هل اختلطت الأحداث والقصص؟ أم هو أصبح حبيسها؟ لكنه لم يعرف كيف وأين ومتى أنتقل من قصة الأميرة ورد لـ جيسيكا، ولا يعرف حتى كيف وجد نفسه فجأة أمام سميحة. هل هذا كله في حلم واحد، أم هو قد اختلطت عليه أيامه، أم هذا الكتاب أصبح ينقله من زمن إلى زمن آخر لا يعلم كنه؟ كان يجد متعة رائعة في التنقل بين تلك القصص، يريد أن يعلم هل تلك ثلاث نهايات لقصص حب، أم بداياتها؟ فقد عاد لقصة سميحة وأكتشف إنها تركت بيت جلال، وأكتشف من طريقة حديثها مع والدتها عن تلك العلاقة إنها أخذت قرار البعد عنه بلا رجعة، فقد سأمت برودة وألام العلاقة معه. ولم يجعلها تغير رأيها حتى معرفتها بأنها حبلى، لم يغير رأيها إلحاحه المستمر أن تعود علاقتهم من جديد، لم يغير رأيها أي شيء، قررت من كل قلبها ألا تعود لأي ضغط ، وأخذت هذا الرأي على

عاتقها رغم صعوبته على قلبها، لكنها قررت ألا تهدر باقي عمرها في علاقة مهلكة استنفذت كل طاقتها وكل ذرة حب في قلبها تجاه جلال. وكما كانت في الماضي تحارب الجميع من أجل أن تقوي تلك العلاقة، الآن هي تحارب الكل من أجل إنهاء تلك العلاقة.

ولم يجد جلال أي شيء ليحيد سميحة عن قرارها، وكأن الثورة التي قامت في مصر قد قامت في قلبها أيضاً وروحها، ولم يكن لها أي إخماد، لدرجة إنها لم تقبل أن تخرج من بيتها معه إلا عندما قال لها إنه سيذهب معها إلى المأذون لتطلقيها. وعندما سارت معه، ألتزمت الصمت وكانت لا تجيب أي محاولة للكلام معها. إذ قرر فجأة أن يتركها ويجري ليقف في وسط الشارع أمام عربة وهو يصرخ، "الموت عندي أحب من البعد عنكِ."

فصرخت هي الأخرى وجريت إليه عندما ارتطمت السيارة بجسده وتجمع الجميع حوله. ولم يكن شيمتها إلا الصراخ حتى قال أحد الرجال الذين تجمعوا حوله، "مازال قلبه ينبض، يجب أن ننقذه سريعاً."

*****

فجأة وجد يوسف نفسه في حجرته على كرسي مكتبه أمام بعض الأوراق، فأحس برغبة شديدة في الكتابة، فكتب على الورق:

وكأن الحب قد وضع بقلوبهم ليعذبوا، فهل مصير حبي من مصير حبهم؟ لا أريد أن ينتهي حبي لـ نادين مثلما حدث مع سميحة، وان ينقلب حبها لي كره، ولا أريد أن أتركها وحيدة مثلما فعل جون، ولا أريد أن تصبح لغيري مثلما حدث للأميرة ورد. ليتني أحلم ببداية القصة بدلاً من نهايتها، حتى أعلم كيف اخبر الحبيب حبيبه بحبه، لاعترف لـ نادين بحبي لها واجعلها تحبني، ثم أتعلم ألا أكون خائفاً مثلهم حتى لا ينتهي حبنا. وعندما تنتقل أرواحنا في المستقبل لآخرين، عندما يحلموا بنا، يعلموا كم كان حبنا خالداً. لكن من يدري، هل انتهت القصص الثلاث الذي انشغل قلبي بهم قبل عقلي، أم كانت تلك النهاية بداية؟ نعم سأعتبرها بداية، وأجعل قصة حبي تبدأ مع قصة حبهم،

وأجعل الثلاث قصص أربعة لمن بعدي. سأتصل بها الآن وأخبرها عن كل شيء دون أن اهتم بردة فعلها.

روايات خيالية حصرية تصدر على منتديات
شبكة روايتي الثقافية.
www.rewity.com

يـــوم

لم يعلم لماذا تردد في ذلك اليوم رغم إنه أخذ القرار من كل قلبه أن يخبرها بحقيقة مشاعره لها، لكنه مجرد أن سمع صوتها في هاتفه، اهتزت كل ذرة به وحتى الكلام قد ضاع من لسانه وخرج مبعثراً. كان صراع قوي وريحاً عاصفة في داخله حباً بين ذاك القلب والعقل الخائف، فأنهى تلك الحرب وحاولِ إخماد النيران التي بداخله بقوله لها، "أهلاً، نادين. أحس أن الدواء لم يفي بغرض، فأنا لأكثر من يوم ونصف وأنا لستُ في ذلك العالم، بل إنني في عالم آخر في قصص أخرى. أنا أثق إنني لست مريض وأن هذا كله بسبب الكتاب، كأولين، بالتأكيد لعنة... لعنة قديمة وتم إعادة نشرها لتبدأ من جديد وتلمس أشخاص من جديد."

قال ذلك وهو واثق أن نادين ستقول له أن هذا مجرد اعتقاد منه ليس أكثر، لكنها صدمته عندما قالت له، "لنفترض أن هذا ممكن... هل يمكنك، يوسف، أن تقابلني بهذا الكتاب؟"

فرد عليها يوسف قائلاً، "نتقابل في العيادة؟"

فردت عليه نادين قائلة، "لا، لن أعمل في العيادة اليوم. يمكننا أن نتقابل في أي مكان تريده. ما رأيك بذلك المقهى القريب من العيادة؟"

فرد عليها يوسف بالموافقة ثم نهض ليعد نفسه لتلك المقابلة، وبعد أن انتهى اتجه إلى مكتبه ليأتي بذلك الكتاب، فلم يعلم لماذا روضه ذلك الإحساس وشعر برغبة ملحة أن يقلب ويقرأ في هذا الكتاب. وبمجرد أن قرأ بعض الأسطر به تذكر قول الأميرة ورد، 'الحب والخوف لا يجتمعان في قلب واحد.' فظلت تلك تتكرر في عقله العديد من المرات.

'الحب والخوف لا يجتمعان في قلب واحد.'

'الحب والخوف لا يجتمعان في قلب واحد.'

'الحب والخوف لا يجتمعان في قلب واحد.'

أحس وكأن التي قالت تلك الكلمة نادين، وليست ورد، ولم تقولها لـ فؤاد، إنما كانت تقولها له. لم تكن كلمات ورد الوحيدة التي ترددت في عقله، بل فجأة تخيل سميحة تقول له، 'لقد سأمت. سأمت تجاهلك لي ولحبك.' وفي نفس اللحظة كانت جيسيكا تصرخ وتقول له، 'أغرب عن وجهي، لا أريد أن أراك، ولا أريد حتى

أن ترسل لي جوابات تخبرني عن ضعفك.' أحس إنه يقف في وسط حلقة تدور حوله، ورد، سميحة، وجيسيكا، كما تدور تلك الكلمات حول عقله.

'الحب والخوف لا يجتمعان في قلب واحد.'

'لقد سأمت. سأمت تجاهلك لي ولحبك.'

'أغرب عن وجهي، لا أريد أن أراك، ولا أريد حتى أن ترسل لي جوابات تخبرني عن ضعفك.'

وفجأة الثلاث اختفين واختفت أصواتهم، ثم أحس أن نادين هي التي تقول له تلك الكلمات. فعاد ليجلس على كرسيه ثم رجع بظهره إلى الوراء، ثم أغمض عينيه وتنهد، ثم أخذ يفكر كيف يقول لـ نادين عن مشاعره. هل يقول لها عندما يقابلها، أم يقول لها في الهاتف، أم ماذا وماذا يقول لها؟ ثم فجأة قطع تلك الأفكار ومسك هاتفه ثم كتب لها كلمة، 'أحبك.' أخذ وقتاً طويلاً يقرر هل يرسلها، أم يمسحها، لكن بالنهاية أرسلها لها. لم يعرف لماذا، لكنه قرر أن يغلق هاتفه وأن لا يذهب لمقابلتها كما اتفق معها. كان الهروب من رده فعلها عنده أفضل من أن يصدم برأيها مائة مرة. ربما لم يكن هذا فقط الشعور الذي يروضه، بل كان قلبه بين شعورين متنافيين، أحدهم يجعله يود أن يجري ليضمها له، والآخر أن يهرب منها.

وبعد تلك الحرب قرر أن يذهب إلى مكتبته ليجد كتاب يهرب من واقعه في خيال إحدى الكتب، فلفت نظره عدة كتب كبيرة الحجم مليئة بالغبار. لم يعرف لماذا، لكنه قرر أن يذهب إليها، غير متفاجئ لوجودها، فهو يعلم أن تلك الكتب هي التي ورثها عن أبيه وورثها أبيه عن جده، كما ورث منهم حبه العجيب للتاريخ والكتابة، ورث منهم تلك الكتب التي لم يخطر بباله أن يقرأ أحدهم مطلقاً. أحس برغبة ملحة إنه قد حان الوقت ليقرأ أحدهم، فاختار واحداً منهم عشوائياً، ثم مسح الغبار الذي عليه ثم بدأ بالقراءة به، وبعد عدة صفحات وجد أن هذا الكتاب يتحدث عن ثورة 23 يوليو، لكن بطريقة أكثر واقعية وكأن الكاتب كان يرصد ما هو على ألسنة الناس في القهوة والحارات، وليس مثل المؤرخين، وكأن كاتب

هذا الكتاب لم يهتم بنقل الأحداث السياسية العامة وأخبار السياسيين مثلما اهتم بأن ينقل أخبار الناس وأراء الناس البسطاء في تلك الأحداث، كان الكاتب يحاول أن يصف الناس وأحاديثهم على القهاوي والنواصي.

وبعد عدد من الصفحات قرر يوسف أن يبحث في الكتب الأخرى. وجد أحدهم عن الخديوي، والآخر عن الحروب العالمية، ولكل عصر كتاب، ولكن هناك كتاب آخر كان يختلف في الشكل عن تلك الكتب، يبدو إنه الأعظم والأغلى بينهم. كان له جلد سميك عظيم، وكان مرصع بالياقوت وقطع من الفضة، وكانت أوراقه سميكة أيضاً، وكان مكتوب بخط اليد. عندما فتحه يوسف ليعلم ما به وجد نفس المقدمة ونفس الكلام ونفس التهديدات ونفس القصص المتشابكة، نفس الأحلام والمغامرات، نفس كل شيء، وجد أن هذا الكتاب هو، كأولين.

*****

لقد قلقت من غيابه رغم إنها اعتادت عليه، لكن غيابه تلك المرة كان مختلفاً، ف يوسف لم يخرج حتى من منزله منذ أسبوع، وحتى عندما كانت تذهب نور لتدق بابه لم تجد أي إجابة. ربما لم يكن سبب اشتياقها له في تلك المرة هو حبها له وتعلقها الذي يزداد يوماً بعد يوم، بل تلك المرة لأنها يجب أن تتحدث معه. يجب أن تخبره، وحتى لو كان أخباره بذلك السر قد يؤدي بحياتها إلى الجحيم، فهي لا تستطيع أن تخونه مهما كان الثمن. وعندما غلبها التفكير بعد أسبوع من غيابه، قررت أن تكتب له هذا السر في ورقة وتضعها أسفل الباب حتى يراه يوسف عندما يعود، ثم خرجت إلى الشارع، فهي أحست إنها بحاجة للبكاء بعيداً عن الجميع.

أحست بضغط لا تتحمله بين الثانوي وأمها التي ستقتلها أن لم تلتحق بإحدى كليات القمة كعادة حتى لا تصبح أقل من ابنه خالتها، كحال أي أسرة في نفس المستوى تريد أن تصل إلى كليات القمة في بلدة لا قمة لها. هذا غير حب يوسف الذي سيطر عليها ولا حول لها ولا

قوة، حبه الذي دخل قلبها دون سابقه إنذار ولا تعرف لماذا. رغم إنه ليس بشديد الجمال الذي يسحر من يراه، بل إنه عادي، ذو شخصية خجولة خائفة إلى حد الجنون ومترددة إلى أبعد حد، شخصية ينتابها الاكتئاب من أقل شيء. لا تعرف هل هذهِ طبيعته، أم هذا تغير حدث له نتيجة لحادث عظيم، فهي لا تعلم أي شيء عن ماضيه أو أين كان يعيش قبل أن يصبح جارهم. وأثناء انشغالها بتفكيرها وهي تسير في الشارع لا تعرف إلى أين وجهتها، أوقفها فجأة رجل ذو جسد عريض طويل داكن البشرة. لم تكن تلك المرة الأولى التي تقابله نور، بل هذا الشخص هو نفسه الذي كانت تحاول أن تحذر يوسف منه. عندما نظرت في وجهه هذهِ المرة، دب الرعب في قلبها، بينما هو جذبها بشدة من ذراعها إلى عربته، ولم تنطق هي بأي حرف. وبمجرد أن جلست في العربة صرخ بها بقوة، "كنتِ تحاولين أن تحذريه، صحيح؟ ألم أقل لكِ إنني أعرف وسأعرف أي شيء ستحاولين فعله أو حتى تفكرين فيه؟"

حاولت أن ترد عليه وكل ذرة في جسدها تهتز من الخوف والقلق، حتى جعل هذا الخوف الكلمات تذوب في فمها، فلم تستطيع أن ترد عليه، بل كانت الكلمات تخرج من فمها حروفاً. وعندما لاحظ هذا الرجل ذلك التشتت عليها، تابع كلامه قائلاً، "تلك المرة اختفت الورقة التي قمتي بالكتابة عليها، المرة القادمة ستختفين معها." ثم فتح لها باب السيارة فخرجت نور منها وعادت إلى منزلها ركضاً من كثرة الخوف.

بمجرد أن وصلت إلى منزلها اتجهت لتجلس على سريرها في الظلام، ثم ضمت قدميها إلى صدرها ونكست عليهم رأسها، ثم انفجرت في دوامة من البكاء. لم تستطيع أن تتمالك نفسها، فظلت تبكي بحرقه وصوت مسموع، ولكن لم يشعر بها أحد سوى تلك الورقة التي آتت بها محاولة أن ترد خوفها بين السطور وتخبئها كما تخبئ رسائل حبها لـ يوسف. فسردت كل شيء بقلبها على تلك الأوراق، خوفها من ذلك الرجل المجهول الذي يطاردها ويبدو من حديثه أن

يوسف يمتلك شيء ثمين، شيء يساوي عمر يوسف ونور وأسرتها وكل شيء. كتبت حتى غلبها النعاس على سريرها وتلك الأوراق بحضنها.

*****

لقد كانت الحياة بالنسبة لها روتينية بشكل ممل، وكأن حياتها يوم واحد يتكرر. تذهب صباحاً لتهتم بمرضها ومساءاً لتهتم بأبيها رغم إنها كانت أمس من يحتاج إلى الاهتمام. تسمع مشاكل الجميع وهي أكثر من يحتاج لمن يسمعها. كانت برغم هذا كله راضية، لكن ما زاد سخطها على ذاك الوضع إجبارها على أن تتحول من الملاك الذي يزيح من على قلب مرضاه ألامهم ويسمع لهم ويكون مؤنسهم إلى الشيطان الذي يدمر الشخص ويضغط عليه مع الحياة. ف نادين كانت كل يوم تدعي ربها أن يبتعد يوسف عنها وعن عيادتها وأن يلجأ لأي طبيب غيرها للعلاج، فهي لا تريد أن تزيد همه وتدمره، كما يطلب منها غصباً عنها. بعد أن اعتبرها بئر أسراره، وبعد أن أخبرها كل شيء عنه وعن ماضيه وحاضره وأحياناً عن مستقبله، ويعتبرها دعامته الوحيدة وملاذه الذي يهرب من بؤس الحياة إليه. هي لم ترد مطلقاً أن تأذيه، بل كانت دائماً تحاول أن تكون عند حسن ظنه وتساعده كما يريد، حتى ظهر ذلك الرجل المجهول التي لم تعرف عنه سوى أن اسمه حمدي، صاحب البشرة الداكنة والطول والعرض، فهو يجبرها كل يوم أن تؤذي يوسف وتقوده إلى الجنون غصباً عنها حتى يصل هو لما يريده منه.

بالطبع في البداية رفضت، لكن هذا الرجل كان ذكياً جداً فعرف بسهولة نقطة ضعفها، وكان يضغط بها على المسكينة. كان يضغط عليها دائما بأبيها، فكانت تتألم عندما تكتب لـ يوسف دواء سيزيد من حالته، لكن لم يكن بيدها أي شيء. لكن خطة ذلك الرجل كانت قوية، فلم يحاصره بـ نادين فقط، بل كانت تعلم إنه يدمره بها وبـ نور جارته، وما خفي كان أعظم.

كانت تحاول أن تتناسى ألم ضميرها، لكنها

كانت تفشل دائماً، وما زاد عليها الألم هذا ألماً مضاعفة عندما رأت تلك الرسالة التي أرسلها لها منذ أسبوع، والتي كان نصها، 'أحبك.' والتي اختفى بعدها ولا يعرف أحد عنه أي شيء، مما سبب جنون حمدي. هو يريد أن يعلم أين هو، أين اختفى يوسف، ولماذا لم يأتي إلى معاد نادين بكتاب كأولين كما قال لها، لماذا توقفت الخطة فجأة باختفاء يوسف وقد كان قد اقترب كثيراً ليصل لما يريد أن يصل إليه. برغم إنها قد انتابها القلق على يوسف، لكنها كانت سعيدة باختفائه، فتلك هي الحالة الوحيدة التي لن يصيبه أذى بسببها.

لم تعلم لماذا ذهب عقلها فجأة إلى قصص يوسف عن حياته التي تحولت من تلك الحياة السعيدة العادية إلى كل ذلك الحزن، وبعد أن تحول من شخص سعيد ذو عائلة إلى بائس وحيد بسبب شيء حتى الآن لا يعلم سببه. كان متزوج من فتاة تسمى نعمة، وقد استمر زواجهم لمدة عام دون أي مشاكل، وكان يتمتع بحياة سعيدة يعتمد فيها على تلك الأموال التي تأتي له من الكتابة، سواء تلك الكتب التي يكتبها، أو المقالات التي يكتبها في مجلة متوسطة الشهرة، وكانت حياته مبنية على تلك الموهبة التي ورثها من أبيه، وورثها أبيه عن جده، كما ورث عنهم ذلك الحب الشديد للتاريخ وقصصه وحكاياته وعبراته الكامنة به. كانت حياته تسير على ذلك الرتم المعتاد حتى مرض أبيه مرضاً شديد جعله يطلب من يوسف أهم شيء يمكن أن يطلبه في حياته، وأوصاه بتلك الكتب. كانت كتب عتيقة حقاً لها جلد متين عظيم مرصع بالياقوت والفضة، رفض أبيه أن يخبره ما هذهِ الكتب، لكن كل ما أخبره عنها أنها كتب عظيمة تورث من جيل لجيل في العائلة، تحتوي تلك الكتب على شيء عظيم. ثم أعطاه كتاب آخر يبدو إنه الأهم، ثم قال لـ يوسف، "ذلك الكتاب هو الأهم والأخطر. إنه يمكن أن يغير كل شيء ويدمر حيوات ويبني حيوات. يمكنه أن يجعل الغني فقير، والفقير غني. لا يجب أن يخرج من مكتبتك في أي وقت حتى لا يقع في يد من لا

يستحق. هذا الكتاب هو الأهم. ولا تحاول حتى أنت أن تكتشف ما به."
فأخذ يوسف تلك الكتب ووضعها في مكتبته وحاول أن يتناسى أمرها حتى ينسها، وبالفعل بعد وقت أصبح لا يملك أي شغف تجاه تلك الكتب حتى جاء يوم وجد ذلك الكتاب الأهم ملقى على الأرض حتى أصبحه الشك أن زوجته سمعت حديثه مع أبيه، وتملك الشغف لتعرف ما بداخل الكتاب. حاول أن يتجاهل هذا الموقف حتى لاحظ التغير الجذري في شخصية زوجته، وكأن الجنون قد أصابها. كانت تجلس كثيراً في صمت، وقد تطورت معها تلك الحالة، إلى أنها أصبحت تتحدث دائماً مع أشخاص غير موجودين، وتتحدث مع يوسف عن أشياء غير حقيقية. يوماً تخبره إنها قابلت سعد زغلول، ويوماً تقص له عن حب الخديوي للمعكرونة، ثم تتطور الوضع عندما أصبحت تختفي باليوم والأكثر، ثم تعود لتحكي له عن هذا الجنون. بالطبع لم يدفع هذا يوسف أن يفتح الكتب، بل فضل أن تذهب زوجته إلى مصحة حتى لا تؤذي نفسها، لكنها كانت دائماً ما تصرخ وتريد أن تكون جوار الكتب، وبالطبع لم يستجب يوسف لها بأن يأخذها مرة أخرى للمنزل، أو يأتي بالكتب إليها. وبالطبع لفت نظر أخيها، حسن، حديثها المبالغ به عن الكتب. في بداية الأمر رفض يوسف أن يخبره ما هذهِ الكتب التي تحكي عنها أخته، لكن عندما انتحرت نعمة في المصحة، وهدده حسن لو لم يخبره ما تلك الكتب التي كانت تتحدث عنها أخته سوف يتهمه بأنه هو من قتل نعمة، فقرر يوسف أن يخبره ما قاله أبيه. وبعد ذلك قطعت علاقته بـ حسن، وأصبح يسمع صوت زوجته بين حين وآخر في مكتبه وأشياء من ذلك القبيل. وزادت تلك الأصوات بعد موت أبيه، فقرر يوسف أن يبتعد عن هذا المنزل ويأخذ منزل جديد يبدأ به حياته من جديد، لكن الماضي دائماً كان يحاول أن يطارده، ولكن يوسف كان يجري بأقصى طاقته منه، وقرر أن أول طريق للهروب من هذا الماضي هو أن ينسى تلك الكتب نهائي، فكان يقتل كل فضول عنده تجاهها حتى تناساها ثم نساها.

وقرر أن تكون الخطوة الثانية ليهرب من هذا الماضي أن يذهب لطبيب نفسي ليحرر عقله من التفكير في الماضي وبصفه أن نادين صديقته من قبل كل هذا حتى، فقرر أن تكون هي طبيبته.

لكنه لم يكن على أي علم أن ليس الماضي فقط من يطارده، بل كان هناك من يعرف قيمة تلك الكتب، من يطارده منذ أن ماتت نعمة وتلك الكتب تساوي عنده الكثير، لذلك أجبر نادين أن تؤذي يوسف بأدوية تجعله مشتت وتحبسه في الماضي بدلاً من الهروب منه، وأجبر نور أن تضع نسخة مقلدة من كتاب 'كأولين' في منزله حتى يقرأها وتبدأ اللعنة من جديد. وجعلها تهيأ كل يوم ما يجعل يوسف يعتقد إنه يسافر في التاريخ. وكان خططه شديدة إحكام بعدما عرف فقط من حسن حقيقة موت زوجته، فكان حمدي يحاصر يوسف بكل شكل وبكل طريقة، ولا يهمه حتى أن يقتل، ويبدو أن هناك من ينافس حمدي على أخذ تلك الكتب، لذلك يحاول بشتى الطرق أن يصل إليها سريعاً. ويبدو أيضاً أن حمدي هو مجرد صورة لشخص يهمه أمر تلك الكتب بكثير، فهو لا يأخذ أي قرار إلا بالرجوع إلى ذلك الشخص.

*****

"كيف أختفي يوسف؟ ألم أكلفك بأن تعرف أدق التفاصيل عنه وتخبرني بها سريعاً؟ كيف تأتي الآن وتقول لي إنه مختفي منذ أسبوع؟ أتعلم، لولا أن تلك الخطة متوقفة عليك، لكنتُ قتلتك الآن وخلصت ذلك العالم من غباءك! أنت أحمق، بل الأكثر حمقاً على هذا الكوكب."

كانت سيدة أربعينية يبدو إنها صاحبة جاه وصيت كبير تقول تلك الكلمات لـ حمدي وهو واقف أمامها، خافض رأسه ينظر إلى الأرض أمامها، بينما هي كانت تجلس على كرسي أمامه وتنظر له بمنتهي الكبرياء، يدا بها المسدس، والأخرى بها سيجارة.

نـــور

عندما استيقظت نور لم تجد أوراقها بين يديها مثلما كانت قبل نومها، مما جعل قلبها يتحرك من مكانه أن يقرأ أخيها أو أمها تلك الأوراق، فنهضت من سريرها لتبحث عن الورق وهي تدعو أن تجد الورق قد سقط من يدها على الأرض، لكنها وجدت تلك الأوراق على مكتبها، فاهتزت كل ذرة في جسدها وقلبها يرتعد خوفاً من أن تكون أمها أو أخيها عرف الحقيقة. حقيقة حبها لـ يوسف، وحقيقة من يهددها. لا تعلم ماذا تفعل لكنها ليست لديها أي جرأة لتواجه أمها وأخيها بالحقيقة، وخاصة ويوسف مختفي وليس جوارها حتى. لذلك قررت الهروب، لا تعرف إلى أين، أو كيف، ففتحت باب غرفتها في هدوء لتجد أمها وأخيها مازالوا نياماً فخرجت بهدوء من المنزل دون أن يشعر بها أحد، وأخذت معها جميع جواباتها لـ يوسف، وقررت قبل أن تهرب أن تضع تلك الجوابات أمام شقة يوسف، فصعدت لها ثم صدمت عندما وجدت باب الشقة مكسوراً، فأصابها الفضول أن تدخل وترى السبب، لعلها تجد يوسف بالداخل.

سارت إلى الداخل بخطوات هادئة وهي تنادي، "يوسف، هل أنت هنا؟ يوسف، أين أنت؟ يوسف! يوسف، هل أنت هنا؟ يوسف، أين أنت؟ يوسف!"
وفجأة شعرت بخطوات خلفها، وقبل أن تلتف لترى من خلفها، أصابتها ضربة على رأسها جعلتها تفقد توازنها وتسقط على الأرض.
عندما فاقت وجدت نفسها على سرير في حجرة يوسف وتجلسِ جارها فتاة قالت لها عندما فتحت عيناها، "أهلاً، نور. آسفة على ضربي لكِ. أنا نادين، ظننتكِ أحد أرسله حمدي ليتجسس علي."
فصدمت نور قائلة، "حمدي! هل تعرفينه؟ أنا أعرف إنك طبيبة يوسف، لكن ما علاقتك بحمدي؟"
فردت عليها نادين، "علاقتي به مثلكِ تماماً، نور. هذا لا يهم الآن. من حسن حظي إنني وجدتكِ فهناك أسرار يجب أن نحاربها ليعود يوسف."
فردت عليها نور مستفهمة، "أي سر؟ ماذا تقصدين؟"
فابتسمت لها نادين قائلة، "ليس أمامي حل لإنقاذ

يوسف سوى أن أثق بكِ، لذلك سأحكي لكِ ما اكتشفت، فهناك سر كبير، نور. سر أقوى من أن أعرفه أنا أو أنتِ أو حتى يوسف. ربما ما أقوله قد يظهر لكِ في البداية وقد يظهر للجميع أنه جنون، وخاصة أن خرج من فم طبيبة نفسية تعودت أن تسمع تلك الخرافات من المرضى وتكذبها دائماً، لكن يبدو أن أحياناً المرضى يكونون على حق. ليس كل ما هو غريب هراء وتخاريف، وليس كل ما لا نراه غير موجود، ويبدو حقاً أن هناك الكثير موجود ولا تستطيع أعيننا أن تراه."

فنظرت لها نور وهي مقطبة حاجبيها ثم هزت رأسها وكتفيها قائلة، "لا أفهم شيء. لا أفهم ما هو السر."

فاستكملت نادين حديثها قائلة، "قصة الكتب، فلو حكي يوسف لكِ أحلامه في الفترة الأخيرة وكتاب كأولين، سيكون من السهل أن أحكي لكِ."

فردت نور قائلة، "نعم، بالطبع أعرف عنها، فقد حكى يوسف لي عنها. وأيضاً عرفتُ من حمدي إنه يستغلك لكي تعطيه دواء يزيده اضطراباً."

فهزت نادين رأسها قائلة، "نعم، للأسف. لكني اكتشفتُ أن الدواء لم يؤثر عليه، بل كانت تلك الأحلام بسبب الكتب، هذا ما اكتشفته."

"أي كتب؟"

"كتب التاريخ، كتب كل ورقة بها تنقلك لزمن آخر لتؤكد لكِ أن التاريخ يكرر نفسه. كتب ورثها يوسف من أبيه وورثها أبيه من جده، وكانت تنتقل من جيل لجيل تحمل العديد من القصص على ورق، ورق على ما أعتقد مسحور، كلما مر على أحدهم يكتب به قصته. وهذا الورق يعمل كبوابة زمنية تنقل أصحاب الكتاب من زمن لآخر، وأصحاب الكتاب يجب أن يكتبوا قصصهم به."

"ماذا؟ أنا لا أفهم شيء. كيف عرفتِ ما تقولينه؟"

فتنهدت نادين ثم قالت لها، "سأشرح لكِ، لقد حكى لي يوسف عن تلك الأحلام، وفي البداية كنتُ أظنها خرافية بسبب الدواء الذي

أجبرني حمدي على أن أعطيه له، ولكن مع الوقت ومع معرفتي بقصة زوجته حتى وفاتها جعلني أشعر إنها ليست مجرد أحلام، رغم إنني دوماً أقنع يوسف بغير ذلك. وكنتُ لا أعرف لماذا يجبرنا حمدي على إيذاء يوسف، وما الشيء الغالي الذي يريده من يوسف، وهل يملك يوسف جوهرة لا يعرف عنها شيء، أم يخدعني في أحاديثه وهو يعرف كل شيء عن حقيقتي وحقيقة حمدي وكل شيء، وأحسستُ إنني سأجن من التفكير..."

ثم أخبرت نادين نور بالخطة التي فكرت بها كاملة، فـ نادين قررت أن تضع خطة هي الأخرى لتنقذ يوسف، ومثلما وضعت في بداية اللعبة رغماً عنها ستنهيها رغم عنهم. وبما إنها طبيبة ناجحة فهي مرأة ذكية وجميلة وتعرف مفاتيح الأشخاص، فقررت أن يكون مفتاح القصة هو حمدي، فقررت أن تلعب بمشاعره حتى يحبها، وكانت تمثل عليه باحتراف حبها هي الأخرى، كان هدفها الوحيد هو إنقاذ يوسف، وهي لا تعرف من أي شخص أو شيء أو سر ستنقذه، وهي لا تعرف لماذا تنقذه، ولماذا يتحرك قلبها نحوه، ومستعدة أن تفعل كل شيء له ومن أجله، لا تعرف لماذا، لكن كل ما تعرفه أنها تريد هذا.

فمرت الأيام والخطوة الأولى بخطتها نجحت، ووقع حمدي في حبها، وبصفتها طبيبة نفسية كانت تسحب منه سر وراء الآخر دون أن يعلم، وأحياناً تسأله ويجيبها، وأحياناً كان يرد على أسئلتها بالصمت، فعرفت منه الكثير عن تلك الكتب.

إنها كتب بدأت منذ عهد طويل منذ أن كتب الجد الأكبر قصته على ورق الكتب الفارغ. كتب مسحورة مصنوعة من ورق البردي، قد صنعها أحدهم لتكون الدليل الوحيد على صدق التاريخ أو كذبه، ولكي يثبت هذا الشخص للعالم أن هناك الكثير من الأحداث التي يذكرونها في كتب التاريخ قد تكون مزيفة أو مشوهة.

ولكي يعمل سحر تلك الكتب، هناك بعض من القواعد يجب أن يلتزم الحاصل على الكتاب بها، أولهم أن يسرد صانع الكتب الأول قصته

بالكامل على ورق هذهِ الكتب الذي لا ينتهي ويحرق الأحداث المزيفة، أي إذا كتب أي حدث مزيف سيجعل القصة بالكامل تختفي من الكتاب، وقد يتسبب ذلك في فجوات زمنية. والقاعدة الثانية أن يرث الكتب أبناء وأحفاد صانع السحر، وأن الكتب لن تفتح إلا لهم، ولن يستطيع أحد غيرهم أن يقص حكايته بها. والقاعدة الثالثة أن الكتب ستنقل أصحابها في القصص الأخرى الموجودة في الكتب بطريقتين: الأولى عن طريق أن يحلم المنقول بالقصص، والثانية عن طريق أن تنقلهم حرفياً لزمن آخر، وفي هذهِ الحالة يستطيع التواصل مع أصحاب القصة، لكن أي خطأ سيفعله سيكون له عواقب وخيمة وفجوات زمانية، والكتب تنقل أصحابها سواء بالحلم أو بالطريقة الثانية عندما تشعر أن هناك خطر يحوم حولها أو حول صاحبها. والقاعدة الرابعة أن عندما يكون حاملوا الكتب بداخل الكتب، الكتاب يفتح لأشخاص يربطهم الحب بحامل الكتاب، أشخاص يحبهم حامل الكتاب أو يحبونه بصدق. والقاعدة الخامسة للكتاب هي الأخطر، والتي جعلت نادين في أقصى مراحل الرعب على يوسف، القاعدة هي أن الكتاب يمكن أن يفتح لشخص أخر... الكتاب يمكن أن يفتح لقاتل حامل الكتاب عندما يغرق القاتل الكتب بدم حامل الكتب سيفتح له الكتاب ويستطيع أن يتنقل بين قصصه وتغيرها وتدميرها، ولكن بعد خروجه منها ستحرق الكتب نفسها وتختفي من الوجود. والقاعدة السادسة والأخيرة لهذهِ الكتب إنها لا تنقل أصحابها لأي قصص، بل تنقل صاحبها أو حبيبه للقصة التي يراها الكتاب إنها الأقرب لحياته والممثلة له ولحاله، وأن كانت قصته مؤثرة ستحول الفحم ذهب.

وبعد أن وضع صانع السحر تلك القواعد الست للكتاب، وضع لها اسم هو 'كأولين' كلمة غربية ليس لها أي أصل في أي لغة، بل هو مؤلفها ألفها من ست حروف لتشبه عدد القواعد الست، وكل حرف بهم يعبر عن قصة بالكتاب، القصص الأهم والأكثر تأثيراً بالكتب بالطبع. لم يعرف القصص، لكنه علم أن تلك القصص

ستكون بهذهِ الحروف، وكانت القصة الأولى هي قصة صانع السحر نفسه، وأستدل بذلك عندما تغير لون الكاف من كلمة كأولين من الأسود بعد ما كتبها بالفحم على جلد الكتاب إلى لون الذهب. وكانت الكاف بداية كلمة كأس وكان هذا الكتاب هو الكتاب الذي بدأ قصة حبه مع ابنة الفرعون، عندما اكتشفت ابنة فرعون أنه يستطيع قراءة اللغة الفرعونية القديمة وأحبته رغم إنه خادم، وحالفه النصيب بعد الكثير من العناء وتزوجها وأصبح قائد جيش فرعون. وبمرور الأيام على هذا الكتب ومروره من أجيال لأجيال، كل أب يحكي لابنه قصة الكتب وقواعدها حتى تلون في قصة أخرى حرف الألف، وكانت رمز كلمة أحبك، التي خرجت من فم رجل قليل الكلام كثير التوتر جاف في علاقته مع كل شيء حتى الحياة وحتى حبيبته، قالها لتحي علاقة حبهم بعد موتها. وبعد فترة تلون الواو، لكن تحت ظروف غامضة تلون حرف الواو لكنه لم يدل على قصة جديدة، لكن من الواضح أن الكتاب أصبح يعيد قراءة القصص القديمة مرة أخرى، لكن بغموض لا أحد يعلم هل هناك سحر جعله يعود للماضي أم أنه لم يجد قصة أخرى تستحق. فكان حرف الواو يدل على قصة أميرة تسمي ورد، ابنة الخديوي، لم يذكر الكتب أي خديوي، لكنه ذكر قصتها بتفصيل. ثم بمرور الوقت حول حرف اللام، لكن لم يعرف عن أي قصة يعبر حتى الآن، ربما قصة قطعت من الكتاب أو محيت أو كتب بها كذب فمحيت بعد تغير الحرف من فحم للذهب. وبعد ذلك ذهب الكتاب إلى الماضي مرة أخرى وأختار قصة حب لشاب قد غير مسارها يوم، فلون الكتاب حرف الياء. وبعد ذلك وحتى الآن لم يتلون الحرف الأخير، ولا أحد يعلم ما سيحدث للكتب إذا تلون، ولا أحد يعلم هل سيتلون بقصة من الماضي أو قصة من الحاضر...

ولكن مثلما علمت نادين هذا كله من حمدي، لم يعلمه هو من فراغ، بل علمه من سيدة تسمى إسراء نوار، لا أحد يعلم ما علاقتها بالكتاب، لكنها من وصف حمدي سيدة قوية ولديها قدرة

غير مسبوقة في الإقناع، وصاحبة عقل غريب تجعلك أحياناً تشعر إنها تابعة لإحدى عصابات المافيا، وحين أخرى تشعر إنها سيدة حكيمة تريد إصلاح الأمور، لكن على طريقتها الخاصة. كانت دائماً تجعل من حولها يظن إنه غبي، أو إنها هي الغبية، لكن بطريقة ما تستطيع إصلاح الأمور لمصلحتها وكما تريد، وهي تعمل فقط لحساب نفسها باستغلال قدرتها في الإقناع والتفكير في فعل بعض الأمور لأحدهم مقابل المال. وبطبيعة عملها وطبيعة عمل حمدي الذي كانت وظيفته الأساسية أن يعمل لحساب سيدة تدعى إلهام ويؤدي ما تطلبه منه لتنفيذ خططها لتصل لما تريد، فكانت عملية الكتاب ليست أول عملية تعمل بها إسراء معه، بل كانت تستعين بها إلهام في القضايا الأكثر تعقيداً نظراً لذكائها، وكانت بطريقة ما إسراء تظهر فجأة وقت احتياجهم لها وتختفي بعد إنهاء مهمتها، فمنذ فترة قبل موت والد يوسف استعانت إلهام بـ إسراء لتقنع والد يوسف ببعض الأشياء، أهمها ألا يعرف يوسف أي شيء عن أهمية الكتاب أو عما يستطيع الكتاب أن يفعله، وطلبت منه أيضاً أن يجعل يوسف حامل الكتب دون أن يعرف سر الكتاب، وفي خلال يومين حققت إسراء لـ إلهام ما تريد، وتأكدت إلهام عندما توفي والد يوسف أو بالأحرى عندما انتحر والد يوسف كما أقنعته إسراء، ولا أحد يعلم إنه قد انتحر بسم سواهم، ومنذ ذلك الحين حتى الآن اختفت إسراء.

كانت نور تسمع هذهِ القصة وهي في ذهول تام، تشعر إنها أحد أبطال قصة فانتازيا يخرج كاتبها فراغه وحزنه في تحريكها هي ويوسف ونادين وحمدي لكي يصنع أكثر شيء يعشقه في الحياة... لكي يصنع الخيال.

فقالت نور لـ نادين، "حسناً، لقد فهمتُ تقريباً ما تقولين، رغم إنه أغرب من الخيال، رغم إنني لا أصدقه، لكني أريد أن أساعد يوسف بأي شكل. لكن أنتِ تقولين أن من سيدخل الكتاب أحد يحب يوسف ويوسف يحبه، فكيف ستدخلين إلى الكتاب؟ هل تحبين يوسف؟"

'هل تحبين يوسف؟' تلك الجملة جعلت عقل

نادين يقف للمرة الثانية أمام قلبها في صراع، فكان الصراع الأول بينهم عندما اختارت أن تحمي أبيها وتؤذي يوسف، والآن يقفان ليحددا هل هي تحب يوسف؟ هل هي حقاً تحبه وتحاول المكابرة كعادتها، أم هي تتعاطف معه فقط؟ لكنها عرضت نفسها للخطر لأجله، والآن تعرض نفسها هي وأبيها للخطر لأجله. إنها دخلت في حرب مع حمدي ومن معه لأجله، وإنها حقا تهتم لأمره، لكن لا تستطيع أن تعترف بأن كل تلك المشاعر بأنها تحبه. فظلت تفكر داخلها هي تحبه أم لا، حتى أنفصل عقلها عن الواقع، ولم تلتفت لما حولها ولا حتى لنداء نور لها العديد من المرات، بل لم تنتبه إلا عندما نكزتها نور. فقالت نادين، "ماذا؟ لا... نعم... نعم، أحبه."

فأحست نور أن هواجسها بمحلها، فطوال حديث نور وهي تجد عينا نادين تلمعان في كل مرة تذكر بها اسم يوسف، وهي تجد حدقة عينها تزداد حدقا عندما يدور كلامها حول يوسف، وسمعت ازدياد دقات قلبها عندما ذكرت أن هناك خطر يحوم حول يوسف. كذلك كان بيد نادين أن تقتل يوسف وتنهي القلق الذي وضعها حمدي به ولم يعلم أحد مطلقاً بذلك إذ أعطته جرعه زائدة من الدواء. كان هناك ألف طريقة وطريقة لتخرج نفسها من هذا الموضوع، لكنها لم تفعل، بل كانت تحاول بكل طاقتها أن تفهم لتنقذ يوسف. لأول مرة أحست نور بالخوف، الخوف من أن حبها لـ يوسف سيضيع وكأن كتب عليها أن تكون وحيدة بحبها. لم تعرف ماذا تقول، أو تفعل مع نادين.

وبينما هي بتفكيرها، أتت نادين بالكتب وفتحت كتاب كأولين ويدها ترتعش وبداخلها ألف صوت يقول لها أهربي، لكنها حاربت هذا لإنقاذ يوسف الذي لا تعرف لماذا تريد إنقاذه باستماتة. عندما فتحت الكتاب أخذ يقلب صفحاته بنفسه بطريقة غريبة ومفزعة، ويبدو أنه فعل هذا مع يوسف أيضاً، ثم هدأت صفحات الكتاب وفتح على ورقة. من شدة ارتباك نادين لم تستطع أن تقرأ ما بها، بل مررت يدها ببطء عليها، وعكس كل الأفلام والروايات عن الانتقال بالزمن والذين يمثل الشخص الذي

سينتقل بالزمن سيمر بدوامات تسبب له صداع وألم رهيب حتى يصل للزمن الآخر، لكن رحلة نادين كانت مختلفة، أحست أن الزمن الذي يأتي لها وليس العكس، أحست أنها ثابتة مكانها والبيت وكل شيء حولها هو الذي يتغير. فوجدت نفسها قد انتقلت لقصر قد وصفه يوسف لها من قبل، قصر الخديوي والأميرة ورد وحبيبها فؤاد، بل ووجدت القصة تتجسد أمامها عندما دخل عليهم نوار أبن خورشيد باشا دون أذن مسبق، فقالت الأميرة ورد، "نوار باشا! ماذا حدث وجعلك تدخل حجرتي بدون إذن؟"

فابتسم لها نوار قائلاً، "جلالة الأميرة، أنتِ تعلمين ماذا حدث."

فنظرت إلى فؤاد، ثم قالت له مقطبة حاجبيها، "هل أرسلك أبيك لتراقبني؟ لا تقلق، فؤاد خادم في القصر وجاء لحجرتي ليؤدي وظيفته، ليس أكثر."

فرد نوار بنفس ابتسامته وبروده وهو ينظر في وجه فؤاد بتمعن، "هو خادمك وحبيبك، أليس كذلك؟"

أحست ورد بالثورة التي كانت بداخل فؤاد، فأمسكت يده قبل أن يذهب ليضرب نوار باشا. ثم حاولت أن تبقى بنفس برودة وقالت له، "وإن كان؟ ما يزعجك؟"

فتغيرت نبرة نوار التي كان يشوبها شيء من السخرية إلى شيء من الجد. "لا يزعجني، بل أريد أن أساعدكما. أنا أعلم إنك لا تقبلين بـ خورشيد باشا زوجاً لكِ، وأعلم أن أبيك وافق عليه عقاباً لكِ على حبك لـ فؤاد، لذلك أنا هنا لأساعدكما أن تهربا وتتزوجا."

فنظرت له ورد في دهشة وهي تشعر إنها مجرد خدعة من خورشيد، أو أبيها ليقتلوا فؤاد. فقالت له، "ما الذي يجعلني أثق بك؟"

فرد عليها قائلاً، "الشيء الوحيد الذي استطيع قوله لكِ إني لا أريد أن يكسر قلب أمي بزواج أبي من فتاة بعمر أولادها، ولا أريد أن يكسر قلب أبي عندما يعلم إنك ستخونينه بحبك لغيره، ولا أريد أن يكسر قلبك بأن تعيشي حياتك بعيداً عن من تحبين."

"وماذا عن قلبك بين هذا كله؟"

"سيكسر بكسرهم جميعاً."
"ماذا؟"
صمت لثواني، ثم قال لها، "أعتقد أن فرصتكما الأخيرة الآن أن أساعدكما، فهل ستوافقين؟"
فنظرت إلى وجه فؤاد دون أن تتحدث.
ثم قال له فؤاد، "كيف ستساعدنا؟"
فرد نوار قائلاً، "ستهربان في اليوم المفترض أن تتزوج به الأميرة ورد والدي خورشيد باشا. ستظهر ورد طوال مراسم الزفاف، وفي الوقت المفترض أن يكتب كتابهم، بطريقة ما ستختفي ورد، وسأخبرك لاحقاً كيف، وفي نفس الوقت سيكتب كتابكما وستأخذكم عربة من مكانكم إلى بيت هدية مني لكما."
فردت ورد قائلة، "وما الذي يجعلني أثق بك بعد هذا أيضاً؟"
فرد عليها قائلاً، "لا شيء. لا شيء سوى أن ليس لديك أي اختيار سوي أن تثقي بي."
كانت نادين تقف جارهم ولم يشعروا بها ولم يرها أحدهم. كانت تقف وهي بذهول تام، فالقصة التي كان يحكها يوسف تتجسد أمامها. ولكن ما تسبب في ذهولها حقاً هو نوار. لقد كان نسخة من يوسف، نفس الشكل وحركات جسده وطريقة كلامه وكل شيء، ولكن الكتاب أختار لها هذهِ القصة، لماذا بالتحديد هذهِ القصة؟ هي بالطبع لا تعرف نهايتها، لكن هل هذهِ القصة تشبهها أم هناك رسالة يريد الكتاب أن يخبرها إياها خلف هذهِ القصة.
في ذلك الوقت تحديداً كان الكتاب بين يدي نور بعد أن فاقت من صدمتها عندما رأت نادين تختفي بالتدريج أمام عيناها. كانت تريد أن تفعل مثلما فعلت نادين أمامها، لكن جسدها كان يرتعد خوفاً من فعل هذا، وهي لا تعرف مصيرها، لكن فضولها كان أكبر من خوفها، ففتحت الكتاب وفعل فعلته الأولى أمامها، ثم وقف على صفحة مكتوبا عليها 'يوم' ومن شدة خوفها لم تستطع أن تقرأ كلمة بعد ذلك، ولكن رفعت يدها وهي ترتعد ومررتها ببطء على الصفحة مثلما فعلت نادين من قبل. وما حدث مع نادين تكرر مع نور بنفس الطريقة وبنفس

الصورة، ثابتة وما حولها يتغير، حتى وجدت نفسها في حجرة أمام سرير ترقد عليه فتاة يبدو إنها حبلى وجارها رجل يشبه يوسف تماماً في هيئته وشكله، ويمرر يده على رأسها ببطء وجاره سيدة تجلس على كرسي يبدو على وجهها نظرات الحقد على الفتاة النائمة. ما تسبب في قلق نور حقاً إنه لم يلتفت إليها أحد، وكأنها ليست موجودة، فحاولت أن تصرخ أو تنادي ولكن لم يلتفت أحد. لم يلتفت لها أحد مطلقاً، فسارت ببطء إلى حيث السرير وجلست جار الفتاه في الجهة المقابلة لشبيه يوسف، التي لا تعرف هل هو باولو صاحب القصة التي كان يقولها يوسف لها عندما حلم بها أم لا، فعندما دققت في وجه الفتاة النائمة، أحست إنها نادين، فخافت أن ترفع رأسها للسيدة التي تنظر للنائمة بحقد أن تجدها شبيهتها، وأحست أن القصة اختارتها لذلك، وتمنت أن تنتهي بعكس ما تتوقع.

روايات خيالية حصرية تصدر على منتديات
شبكة روايتي الثقافية.
www.rewity.com

إسراء نوار

لقد ظهرت الآن...
لكن...
لماذا؟! ظهورها غير مستحب الآن على أي حال، ولا بالنسبة لـ إلهام، أو يوسف، أو لـ حمدي الذي لا يعرف إلى الآن أين يوسف؟
هل وجودها الآن له علاقة باختفاء يوسف، أم لا؟
هل آتت برغبة من إلهام، أم لا؟
كانت كلها أسئلة تجول في خاطر حمدي عندما رأى وجه إسراء أمامه وهي تتحدث مع إلهام، فقد أصابه القلق أن تظهر مع اختفاء يوسف، وهو لم يقل لـ إلهام عن اختفاء يوسف، قلقاً لأنها قد كلفته من قبل بأن يراقب يوسف ويعرف مكانه دائماً. فدخل عليهما فضولا أن يعرف ما سيحدث.
بمجرد دخوله قالت إسراء، "يبدو على وجهك القلق، حمدي. لا تقلق كل شيء على ما يرام، وخطتي تسير مثلما خططت لها تماماً."
فرد حمدي في قلق وهو يمرر أصابعه بين شعره، "ولكن..."
لم يكمل حتى نهضت إسراء ووقفت أمامه ومررت يدها على وجهه ببطء، "ولكن يوسف اختفى، هذا صحيح. لا أعلم متى ستتعلم مني كيف تفكر؟ يوسف لم يختفي، يوسف في الكتاب، وهذا جزء كبير من خطتي، فعندما يكون يوسف في الكتاب نستطيع أن ندخل نادين للكتاب."
فتوتر حمدي وظهرت في لهجته شيء من القلق المختلط بالعصبية، "ماذا تعنين؟ نادين تحب يوسف؟ هذا غير صحيح، وأن اعتمدت خطتك على هذا، فستفشل."
فضحكت ساخرة منه قائلة، "لماذا لا تحبه؟ لأنك تعتقد إنها تحبك أنت، صحيح؟"
فرد عليها في ذهول، "ماذا؟ كيف تعرفين؟"
فضحكت مرة أخرى ثم قالت له، "لأنك أحمق وساذج، يا سيدي، لذلك قررت أن أجعلك جزء من الخطة."
قطب حاجبيه ثم صرخ في وجهها بمنتهى الزجر والضيق قائلا، "لا، ما تقولينه غير صحيح! أنتِ لا تستطيعين أن تلعبي بمشاعري، ولا تستطيع

نادين أيضاً. لا أحد يستطيع. لا أحد ومن يفعل سأقتله."

فردت إسراء بنفس هدوئها عليه قائلة، "مشاعر؟ آخر شيء اهتم به أنا أو أي فرد يعمل في نفس عملنا المشاعر... المشاعر هي الكذبة الأكبر التي أصبحنا نستخدمها لنحصل على ما نريد، المشاعر التي تتحدث عنها يا حمدي أصبحت في الكتب فقط، في الروايات والحكايات مثلما هي موجودة في حكايات كتاب كأولين، فقد انتهى زمن المشاعر، يا حمدي. لذلك حتى الآن لم يلون الحرف الأخير، ولم تكتب قصص أخرى في الكتاب. لا توجد مشاعر، يا حمدي، لا توجد."

فقال لها، "الحرف الأخير لم يلون لأن هناك مشاعر، مازال هناك أمل."

فابتسمت وقالت له، "ربما، كنتُ أعرف إنك تفكر هكذا، وبالطبع كنتُ أعرف أن نادين ستفعل أي شيء لإنقاذ يوسف، وفعلت مثلما توقعت تماماً، خدعتك بأنها تحبك لتعرف منك عن الكتب. وكانت إلهام تخبرك عن الكتب ما نريد نادين أن تعرف، حتى تدخل الكتاب. ومثلما ضغطنا عليها في السابق لإعطاء يوسف دواء خطأ، سنفعلها مرة أخرى لتخبرنا مالا نعرف داخل الكتاب."

فنظر حمدي في ذهول لـ إلهام وفي نفسه قد قرر أن يقلب اللعبة عليهما مثلما لعبوا به، وسيقتل يوسف حتى ستصبح نادين له. بينما قالت إلهام ضاحكة، "هل كنت تعتقد أن اجعل أهم مهمة قد افعلها بحياتي تحت يديك؟ لقد كنت جزءاً مهماً، نعم، لكن قضية كأولين من أول خطوة لآخر خطوة تحت يد إسراء، فأنا لا أثق في أي شخص في حياتي مثلها ومثل ذكاءها."

فصرخ حمدي بهم قائلاً، "الكتاب... الكتاب... ماذا يعني هذا الكتاب؟ ماذا به يجعلكما بهذا الاهتمام به؟"

فجلست إسراء ثم قالت له، "كتاب ينقلك لصفحات التاريخ، يجعلك تغير ما تريد بلحظات. ألا تفهم ماذا يعني هذا؟ ألا تعرف إنك ممكن أن تجعل بسفرك الغني فقير والفقير غني، وتغير في شكل مستقبلك، تفعل ما تريد

لمن تريد وتحصل على ما تريد وقتما تريد، فقط بتغير بعض الخطوات في التاريخ يمكن أن تغير الكثير وتنهي الكثير وتفعل المستحيل، يمكن أن تغير معالم حياتك، ولك أن تتخيل."

*****

أحست إنه يعشقها، يعشقها لدرجة إنه يريد لها السعادة حتى وأن كانت بعيدة عنه، فجلست نادين تراقب نوار أبن خورشيد باشا وهو يتغزل في الأميرة ورد ويحكي للورق كم يعشقها وكم تعذب فؤاده في حبها وهو لا يستطيع حتى أن يخبرها، وكيف يخبرها وهو يعلم أن قلبها يعشق خادمها. وما أنهك قلبه حقاً عندما علم أن أبيه يريد أن يتزوجها لنفسه وهو يعلم جيداً إنه يفعل ذلك ليزيد نفوذه ليس أكثر. وكان يحاول جاهداً أن لا يتم هذا الزواج حتى لا يكسر قلبه ثلاث مرات، مرة نفسه وهو يرى حبيبته بين يدي أبيه حزينة، ومرة لأمه عندما تجد أحد آخر قد حل محلها في قلب زوجها، ومرة لأبيه عندما يعلم أن ورد ستخونه مع خادمها حتى بعد زواجهم، لذلك رأى أن الحل الأمثل أن تتزوج ورد الخادم.

كتب تلك الكلمات في كتاب ثم خرج ينادي فؤاد ليتم الخطة اليوم في موعد الزفاف، فجرت نادين ترى الكتاب، فوجدته كأولين، مثل الكتاب الذي آتى بها إلى هنا، وهو لا يلون به غير حرف الكاف فقط. ثم جرت بعد ذلك خلف نوار، لترى كيف سيتم خطته.

عندما نزلت وجدت فؤاد قد مات على سريره، ويجعل جاره نوار يرتعش ويصرخ به قائلاً، "أرجوك، انهض! لأجل ورد، لأجل ورد، أرجوك. ستدمر ورد في بعدك... أنهض، فؤاد." ولكن فؤاد مات. لم يعرف نوار ماذا يفعل، هل يترك حبيبته لأبيه، أم يحارب لحبه ولو لمرة واحدة.

كانت نادين تتمنى أن يسمع صوتها وهي تقول له: اعترف بحبك. وفي تلك اللحظة شعرت أن نوار لا يشبه يوسف في الشكل فقط، بل في خجله وشخصيته وهواجسه ومخاوفه أيضاً. كانت دقات قلب نادين تزداد مع دقات قلب نوار، وقد تفاعلت في القصة حتى شعرت إنها جزء منها.

فجأة، قرر نوار أن يترك جسد فؤاد ويذهب لـ ورد، فعندما جري إليها يرتعد، قالت له، "نوار، ماذا حدث؟ ما بك؟ ألم تخرج فؤاد كما اتفقنا؟" فأقترب نوار منها ورفع يده التي ترتعش ولا يعرف كيف وجدها فجأة تربت على كتف ورد، ولم يعرف لماذا لم تمنعه، بل صرخت قائلة، "ماذا حدث لـ فؤاد؟ انطق، ماذا حدث، أرجوك. لا أستطيع الاحتمال."

فرد عليها نوار في صوت يرتعد، "لقد وجدته... مقتولاً."

فخرت ورد من وهل الصدمة، وكانت جارها نادين تبكي لبكائها. أحست فجأة بالقلق على يوسف، لا تعرف لماذا، لكنها أحست بهذا. وفي هذا وجدت نوار يضم ورد إليه وهو لا يعلم لماذا يفعل هذا، ثم طبع على رأسها قبلة رقيقة، وهي لم تحاول أن تمنعه، بل لم تلتفت لشدة ألمها وحزنها على حبيبها. وبعد دقائق حاولت أن تستجمع قوتها، ثم قالت لـ نوار وهي تمسح دموعها، "هل ستساعدني لأنتقم؟"

فرد عليها قائلاً، "مستعد أن أفعل أي شيء تريدين أن تفعليه، ولكن... هل.. هل ستتزوجين أبي؟"

فردت قائلة، "حتى أفعل ما يريد، هذا مستحيل!"

صمت نوار لثواني غير ملتفت لما تقوله ورد، ثم قال لها، "ورد، أنا أحبك. أعرف إنه وقت غير مناسب، لكني أريد أن أخبركِ بهذا، أريد أن أخبرك إنني لا أحبك، بل أعشقك!"

أحست نادين بتسارع دقات قلبها مع ورد، فأحست أن تلك الكلمة قد قيلت لها، وليست لـ ورد. وأحست إنها سمعتها من يوسف، وليس نوار. فأغمضت عيناها وقالت بسرها: وأنا أيضا أحبك، يوسف. وتذكرت شعورها عندما قرأت الرسالة التي أرسلها يوسف لها. كانت بغاية سعادتها رغم إنها لم تعرف إنها تحبه، لكنها كانت سعيدة، وأخذت تفكر كيف سترد عليه عندما يقابلها، لكنه لم يقابلها من وقتها.

لم تلتفت نادين من شدة تفكيرها في يوسف وحبه في رد فعل ورد، الذي كان خليطاً من الذهول والصمت. ثم قطعت صمتها بعد دقائق قائلة، "أتتزوجني، يا نوار؟"

فنظر لها في ذهول وعيناه حدقة ودقات قلبه

تتسارع وجسده يرتعش فرحاً غير مصدقاً لما سمعته أذنيه. "هذا حلمي، لكني كنتُ أتمنى أن يحدث عن حب، ليس مجرد خطة للانتقام ينتهي بعدها زواجنا." ثم صمت لثواني ثم أكمل كلامه قائلاً، "لماذا لم تظني إنني من قتل فؤاد بعدما قلت لكِ إنني أحبك؟"

فابتسمت له من خلف دموعها قائلة، "الحب والشر لا يجتمعان في قلب واحد، فالقلب الذي رزق بالحب من الله لا يمكن للشيطان أبداً أن يضع به الشر."

فابتسم لها مستفهماً، "والحب رزق؟"

فأكملت قائلة، "الحب رزق. الحب الرزق المتفق عليه عند الجميع، يتمناه الجميع، غني أو فقير. الرزق الذي يحمل بداخله ألم ومع ذلك تتمناه حتى بألمه وبكل ما فيه. الحب رزق، يا نوار، يجب أن تحمد ربك عليه دائماً."

فرد عليها قائلاً، "أعدك إني سأساعدك لأخذ ثأر حبيبك فؤاد، حتى وإن كان قاتله أبي، ليس لأني أحبك، لكني أكره هذا الظلم."

فابتسمت له قائلة، "شكراً."

ثم ذهبا إلى المكان الذي كان نوار قد أعده من قبل لـ ورد وفؤاد حتى يتمما زواجهما فيه، ثم تزوج نوار ورد، وبعد ذلك بدل أن يهرب بها مثلما كانت ستفعل مع فؤاد، بل طلب منها أن تعود لحجرتها وتتم كل المراسم مع أبيه حتى يعود.

فسألته قائلة، "إلى أين أنت ذاهب؟ ومتى تعود؟ أنا خائفة."

فرد عليها قائلاً، "لا تقلقي. افعلي ما أقوله لكِ وستعرفين وقتها إلى أين أنا ذاهب ومتى أعود وماذا أفعل."

فقالت له، "لكن ربما أخفى القاتل جثة فؤاد. في تلك الحالة، كيف ستثبت موته؟"

فرد عليها قائلاً، "بالطبع هذا الأمر لم يغب عن بالي، فأرسلت من يأتي بجثته إلى مكان آمن. لا تقلقي، أنا سأعد كل شيء ليظهر على ما يرام."

ثم خرج من حجرتها متجهاً لحجرة أبيه التي أعدها له الخديوي ليجلس بها قبل الزفاف. وبمجرد أن لمحه أبيه ناداه قائلاً، "نوار، من حسن حظي إنك آتيت. أريد أن أخبرك بباقي خطتي للحصول على الحكم بدلاً عن الخديوي. مثلما

أخبرتك سابقاً عن زاوج ورد، وكيف سأستغله. الآن يوجد شيء أهم يجب أن نفعله."
فرد عليه نوار قائلاً، "ماذا ستفعل، يا والدي، بعد أن تتزوج ورد؟"
فوضع خورشيد باشا يده على كتف نوار ثم قال له، "ما سأفعله سيكون في وقت الزفاف، سأضع سم في كوب الخديوي لأقتله، ونظراً أن ورد ابنته الوحيدة، فبالتالي أنا من سيرث الحكم، ومن بعدي أنت."
فنظر له نوار في ذهول قائلاً، "لكن ورد ليست ابنة الخديوي الوحيدة."
فرد عليه خورشيد قائلاً، "ستصبح الوحيدة عندما يموت أخويها عن طريق الخطأ في رحله صيد."
صمت نوار لدقائق ثم قال له، "هل الحكم يستحق كل هذا، يا أبي؟"
فرد عليه خورشيد قائلاً، "نعم، يستحق، يا نوار. ستعلم بعد ذلك ما أقوله لك."
فقال له نوار، "هل قبلت أمي اليوم، يا أبي؟ أنا قلق عليها. ألست قلقاً عليها؟"
فرد عليه خورشيد باشا قائلاً، "لا أعلم عنها أي شيء. لكن لا تقلق، غداً ستتفهم وتتحسن حالتها."
فصمت نوار لثواني، ثم قال لأبيه بنبرة بها شيء من العتاب، "لكن لماذا أجبرتها على أن تأتي معنا إلى قصر السلطان؟ ولماذا طلبت منها أن تحضر الفرح؟" صمت نوار قليلاً، وعندما لم يرد عليه أبيه سأله مرة أخرى، "أبي، هل قتلت فؤاد؟"
فرد عليه أبيه قائلاً، "الخادم... الخادم فؤاد، يا نوار، حتى لا يختلط عليك الأمر. أن أقتله الآن أرحم مليون مرة من أن أقتله هو وورد في المستقبل، عندما تقرر خيانتي معه."
فقال نوار له، "هذا يعني إنك قتلته مهما كان خادماً أو لا، وستقتل السلطان وأبناءه، ومن الممكن أن تقتل ورد أيضاً في المستقبل، ومن السهل أي شخص آخر، لو حتى أمي. لماذا؟"
فأختار خورشيد باشا أن لا يجيب على نوار، فقرر نوار أن يخرج من حجرة أبيه ذاهباً إلى أمه ليطمئنها رغم إنه أكثر شخص يحتاج إلى الاطمئنان، لكنه قرر أن يتناسى خوفه على

حبيبته وأمه وأبيه ليعطيهم هم الأمان. وعندما ذهب إلى أمه، وجد الدموع تكسو وجهها، وألم قلبها يظهر على ملامحها التي وضع الزمن بصمته عليها.

ذهب إليها نوار وضمها بين يديه هامساً لها، "لا تقلقي، كل شيء سيكون على ما يرام." ثم مسح دموعها بيده وابتسم لها قائلاً وهو يحاول مداعبتها، "هل تغارين على أبي من فتاة تقل عني عمراً؟"

فمسحت هي على شعره قائلة، "هذا ما يحرق قلبي، يا نوار. هذا ما جعل قلبي فتاتاً بعد أن أهلكته في حب أبيك بينما كان يهلك قلبه هو في حب السلطة والنفوذ. لم يهمه أي شيء، لم يهمه كسرة قلبي وحزني، لم يهمه أن يدهس قلبي بعد كل تلك السنين الطويلة التي أفنيتها في حبه، ولا يهمه أي شيء سوي أن يُرضي غروره وطمعه، ولا يهمه أي شيء سوى أن يكسر بقلبي، وكأنه يريد تحويل كل ذرة حب بقلبي له لكراهية، ولكن قلبي يأبى أن يحمل له كراهية. بداخلي حرب، يا نوار. حرب إخمادها موتي حتى أرتاح من تلك الأفعال التي تحدث من أبيك دائماً. أنا واثقة إنه لا يحبها، لكنه يجعلني أشك إنه لا يحبني أنا الأخرى. لماذا يفعل بي هذا دائماً؟ لماذا يتعامل مع مشاعري على إنها أدنى شيء عنده؟"

فقبل نوار رأس أمه قائلاً لها، "لا تقلقي، يا أمي. أنا هنا لأرد حقكِ، لكن عديني إنكِ لن تنزعجي لأي شيء سأفعله في المستقبل."

فردت عليه قائلة، "لا استطيع أن أنزعج منك ولو لدقائق."

فقال لها، "سأقف مع الحق، حتى لو كنتُ أنا المذنب."

فقالت له، "لا أفهمك."

فقال لها، "ستفهمينني في الوقت المناسب. وداعاً، يا أمي."

ظل ينتظر موعد الزفاف، ومع كل دقيقة تزداد دقات قلبه أكثر. لم يكن الاختيار سهلاً بالنسبة له كما يتضح، بل كانت حرباً بالنسبة له. لا يعلم يختار أهله، أم الحق؟

وعند موعد الزفاف كانت نادين تراقب وجوهم

جميعاً. كانت ورد ترتعش من خوفها، وكان خورشيد يشعر أن انتصاره قريب، وكان الخديوي بملامح غير مفهومة، كأنها صدمة، يتخللها فرح، يتخللها حزن، يتخللها ألم. بينما الوجه الأصعب لتفسيره بالنسبة لـ نادين هو نوار، كان يرسم على وجهه ابتسامة وجسده يرتعد خوفاً، يبدو إنه في أكبر موقف له في حياته، أو مثلما يقولون اللحظة الحاسمة. وتلك اللحظة بدأت بالفعل عندما حان وقت أن يكتب خورشيد كتابه على ورد، فصرخ نوار في القاعة، مما جعل الجميع يصمت في دهشة. والدهشة الكبرى عندما صمت الخديوي بعد أن طلب من الجميع أن يسمعوه. وقبل أن ينطق نوار بكلمة، جاءت عينه في عين أمه المكسورة وابتسم لها ليخفف عنها، ثم جاءت عينه في عين خورشيد باشا، أبيه، فنظر له نوار وكأنه يريد أن يعتذر له.

ثم أغمض نوار عيناه محاولاً أن يستجمع قواه قائلاً، "لا يمكن لـ ورد أن تتزوج، لأنها بالفعل زوجتي، ووافق على هذا الزواج الخديوي نفسه."

ثم سار نوار بعض الخطوات مقترباً بها إلى أبيه، ثم أكمل حديثه قائلاً، "مثلما سمع الخديوي بنفسه أشياء أخرى، يا أبي." ثم همس له قائلاً، "وهو يعرف أيضاً أن الكأس الذي بيده مسموم... يعرف الكثير."

فتهمهم الجميع وتساءلوا وهم لا يفهمون أي شيء، عروس أب أصبحت للابن، وما تلك الأقاويل التي يواجه نوار بها خورشيد باشا...

أشار نوار بيده ليعم الصمت مرة أخرى. ثم قال، "في البداية قررت أن تتزوج ورد ليزيد نفوذك في كل شيء، ثم اكتشفت إنها تحب فؤاد، فقتلته في سريره، وقد سمع الخديوي اعترافك بهذا."

"الخادم فؤاد..."

"الإنسان... فؤاد إنسان مثلنا مثله، وبه روح مثلنا، ونفسه محرمة قتلها مثلنا، وأنت قتلت نفساً وكنت تخطط أن تقتل الأخرى، وهي الخديوي وأبنيه في المستقبل. وأن كنتُ قد كذبت، فلتصحح لي، يا جلالة الخديوي، فقد سمعت عن لسان أبي."

فرد خورشيد باشا وهو في أشد حالات الزجر والغضب صارخاً بوجه أبنه، "لقد جننت، يا نوار. لقد جننت على جنون أمك، وأصبحت تنطق بكلام ليس له أي أساس من الصحة. كل ما تقوله هو أفق وكذب."

فنهض الخديوي من كرسيه ثم قال له، "بل صحيح، يا خورشيد. كل ما قاله نوار صحيح، وقد سمعته بأذني عن فمك، ومن المفترض علي أن أحكم عليك بالقتل عن كل ما اقترفته، لكن ربما أقلل الحكم قليلاً عليك لأجل نوار، وأكتفي بأن أرسل خدمي إلى قصرك ليعاونوك في نقل أمتعتك إلى خارج الدولة إلى الأبد."

فجرى نوار إلى أمه التي كادت أن تنهار من البكاء مما تسمعه، فضمها إليه قائلاً لها، "أنا آسف. أرجوك يا أمي أن تغفري لي، فأنا كنتُ في اختيار صعب بين أن أساعد أبي حتى لا أخسره، أو أفعل الصواب، فأرجوك أن تسامحيني ولا تصعبي الأمر علي."

فقبلت رأسه قائلة، "أنا سعيدة بك. سعيدة بأنك لم تنشأ مثله وأصبحت لا تبالي للصحيح أو الخطأ. أنا فخورة بك." فابتسم لها وعانقها عناق طويل، صدم عندما وجد ورد تشاركه به عندما فتح عيناه.

عندما نظر إليها فابتسم لها صامتاً، بينما جريت هي إلى حضنه وهي تقبله وتقول له، "لا أعرف كيف أشكرك..."

فابتسم وقال لها وهو يقبل رأسها، "أنا أحبك."

فابتسمت له وهزت رأسها في استحياء قائلة، "على ما يبدو، وأنا أيضاً."

ثم أغمض عينيه في عناقها عناقاً طويل، وعندما فتح عيناه، قد لمح أبيه بعيداً، فجرى إليه وهو يناديه، "أبي، أرجوك سامحني، لكن الاختيار كان صعباً."

وحاول عناقه، لكن خورشيد باشا دفعه بعيداً عنه، لكن نوار لم يستسلم، بل جلس على الأرض يحاول تقبيل قدم أبيه لكي يسامحه، لكن أبيه ركله وقال له، "لن أسامحك أبداً."

ثم تركه ورحل بينما جريت ورد إلى نوار واحتضنته من خلفه وهي تقول له، "لا تحزن. أنا

متأكدة إنه سيأتي اليوم الذي سيسامحك به."
فابتسم لها قائلاً، "وكيف يحزن من زين حياته بلؤلؤة جميلة مثلك؟"
كل هذا ونادين تراقب وتشعر أن الكتاب لديه حق في اختياره لها هذهِ القصة دون جميع قصصه. أختار الكتاب تلك القصة لها لكي ترى نادين نوار وتضحيته من أجل حبه لـ ورد، واختياره الصواب وحتى لو كان بمحاكمة أبيه. وكأن الكتاب يطمئنها إنها على صواب، وأن حربها الخاصة هي يوسف وإنقاذه وأن تساعده في حماية هذا الكتاب، التي هي حرب يوسف. وفي تلك اللحظة وعندما أدركت ما يريد الكتاب أن تعلمه، أحست نادين بشيء غريب، أحست بوجع شديد يضرب أنحاء رأسها جعلها تغمض عينيها بقوة وتضع يدها على رأسها، وعندما فتحت عينيها، وجدت نفسها من جديد في بيت يوسف، أمام مكتبته وأمام الكتاب. أمام كأولين، الكتاب الذي يحطم كل القواعد. الكتاب الذي يعمل كطبيب، لكن دواءه قصص من الماضي وأشخاص تثبت لك إنك على حق. أحست نادين إنها تحلم، أو إنها شخصية في رواية يحركها الكاتب كيفما يريد ليجعل القارئ يتعاطف معها حيناً، ويبكي عليها حيناً، ويبتهج قلبه معها حيناً. أحست حقاً بتلك الجملة التي كان يرددها يوسف عن حياته، ولأول مرة أحست أن قلبها يرقص فرحاً عندما تتخيل يوسف، أو تتذكر كلامه. أحست إنها حقاً تحبه، أحست إنها لا تريد في حياتها سواه، فقالت في نفسها وهي تحتضن كتاب كأولين بين يديها بعد أن تنهدت. 'أحبك، يوسف. أحبك مهما حدث، أو سيحدث. سأحبك دوماً حتى لو أثبتت لي الأيام إنك لست موجوداً، حتى لو كنت من صنع خيالي، حتى لو كنت مجرد هواء، فأتمنى أن تكون الهواء المحيط بي دائماً.'
وقبل أن تكمل كلامها، سقط الكتاب من يدها، وعندما انحنت لتأخذه، وجدت نور تقف خلفها. فقالت لها نور، "لقد كنتُ بالكتاب، يا نادين، مثلكِ تماماً، لكن الكتاب أختاركِ أنتِ لتكوني حبيبة صاحب الكتاب."

فذهلت نادين قائلة، "كيف كنتِ في الكتاب؟ وكيف عرفتِ؟ أنا لا أفهم شيء."
فابتسمت لها نور ابتسامة باهتة قائلة، "كنتُ في الكتاب لأن قلبي سأل الكتاب ما تسألينه، يا نادين. لكن الكتاب ليس عادلاً، أراد أن يعطيك ما سألتِ وأن يجيب عن قلبي بالرفض."
فذهلت نادين ولم تجد ما تقوله لـ نور سوى أن تربت على كتفها. فأكملت نور حديثها قائلة، "لكني لستُ حزينة. لستُ حزينة مطلقاً. فحتى لو قال الكتاب لـ يوسف أن يبقى لي، كنتُ سأبقى حزينة للأبد لحزن يوسف الذي لا ينطق قلبه إلا بحبك، يا نادين. لقد كانت عيناه تضمك كلما رأى وجهك وأنتِ لا تشعرين. لقد كان قلبه يرقص عندما يتحدث معكِ أو عنكِ. لقد كان يحكي عنكِ دائماً، يا نادين. لقد كان يصفك بأنكِ ملاكه الجميل، وكنتُ أصبر لأنني أظن إنكِ لا تحبينه، فكنتُ أقول لنفسي دائماً عندما تخبرينه إنك لا تحبينه سيحبني أنا..."
ثم جريت نور لمكتب يوسف وأخرجت ورق يوسف الذي كان يصف فيه نادين، ويصف حبه لها، ثم أعطتهم لـ نادين وأكملت حديثها قائلة، "لقد كان يهلك ليله على المكتب في حبك ووصفك، بينما كنتُ أنا أقضي ليلتي في حبه ووصفه، ولكن الكتاب لم يرى ذلك. أنتِ محظوظة، يا نادين. محظوظة جداً. أتمنى لكم السعادة دائماً، بينما أنا سأعود، سأعود إلى حياتي التي كدتُ أن أدمرها حتى أحصل فقط على حب يوسف، وفي النهاية أنتِ تحصلين على ما كنتُ أريد أن أفقد كل شيء في سبيله."
ثم خرجت نور من بيت يوسف، بينما نادين ذهبت إلى مكتب يوسف، فجلست عليه تقرأ في ذلك الورق الذي أعطته نور لها، وجارها كأولين.

روايات خيالية حصرية تصدر على ستريات
شبكة روايتي الثقافية.
www.rewity.com

وماذا بعد؟

هل هم ثلاث نهايات لثلاث قصص حب، أم هن نهاية قد حسن استغلالها لتصبح بداية من جديد؟ أم في هذا الكتاب سحر وهو الذي يختار قصة الحب السعيدة من الحزينة؟ قال ذلك يوسف الذي لا يعلم أي شيء عن سر ذلك الكتاب الذي يجعله يتنقل من قصة لأخرى. ويأتي له بـ نادين في قصة، ونور في قصة أخرى. فقد كان في البداية في قصة ورد، وأمامه نادين، لا يعلم هل هي نادين حقاً أم مجرد خيال صوره له عقله بعد تعطشه لأن يرى وجهها أو يضمها بين يديه. كانت معه في قصة الأميرة ورد التي استطاعت أن تنتهي من ماضيها وتقضي عليه عندما وجدت من يستحق بعد حبها لـ فؤاد، ولم تجعل الوقت يقف بها عند موته، وكأن الكتاب يريد أن يخبر يوسف أن يبدأ من جديد مع نادين وينسى كل حزن الذي دخل إلى قلبه منذ موت زوجته نعمة. ثم بعد ذلك، وجد نفسه في تلك القصة التي كانت تحدث في ظلال الحرب العالمية الثانية، قصة جيسيكا وحبيبها الذي كان يجلس جارها عندما كانت فاقدة للوعي، هو وتلك السيدة التي كانت تنظر لها وكأنها ناقمة على ما رزق الله جيسيكا عنها.

قال باولو لها، "إحسان، لماذا ضربتيها على رأسها بالعصا؟ ألم تعلمي أنها حبلى وأن هذا من الممكن أن يؤثر عليها أو على أبني؟"

فردت عليه إحسان، "لم أعلم أنها جيسيكا. لم أتوقع أن تأتي إلى هنا بعدما اعتقدت إنك سافرت. لكن، لماذا تقلق عليها كل هذا الحد، يا باولو؟ هل لا زلت تحبها، أم سئمت حبي فقررت أن تعود لها؟"

فرد عليها قائلاً، "لا، ليس ما تظنين، لكنها حبلى يا إحسان، في ابني الأول، وبالطبع لدي الحق أن أخاف عليها."

فردت عليه قائلة، "لقد سأمتُ خوفك عليها، يا باولو. أنت تخدعني، أم تخدع نفسك، أم تخدعها هي؟"

فرد عليها قائلاً، "أنا أحبك أنتِ، يا إحسان. لذلك قررتُ أن أكذب عليها وأبعدها عني، لذلك وعدتُ أنني سأغير كل شيء، حتى ملتي

وحبي وحياتي، فقط لأتزوجك."
فردت عليه قائلة، "أعترف بحقيقتك، يا باولو. أنت أعجبت بي فقط لأنني مختلفة عنها، راقصة تضحك دائماً وتحاول بأقصى طاقتها أن تظهر للجميع دائماً أنها الأسعد على وجه الأرض، ومصرية، وربما بي بعض الجمال الذي ورثته من أجدادي. مختلفة تماماً عن زوجتك التي قسمت قلبها نصفين، نصف لك، والنصف الآخر لوطنها وأهلها، وتخاف أن تضيع منها مثلما ضاع النصف الآخر فتموت حزناً عليهما. أنت تحبها، يا باولو، وما أنا إلا نزوة في حياتك. لم أفهم هذا سابقاً، لكنني اكتشفتُ هذا الآن. أنت تخاف عليها منذ أول يوم قررت أن تبتعد عنها فيه، أتتذكر ذلك اليوم الذي أخبرتها إنك ستسافر، لقد جئت إلي بعد ذلك تبكي على بكاءها، ولقد تحملتُ يومها وقولت غداً ستنساها. بعد ذلك طلبت مني أن اجعلها تعمل عندي وتعيش في منزلي، وقتها قلتُ لنفسي لا يهم، بالنهاية هو لي من الآن. بعد ذلك، عندما أخبرتك أنها حبلى، كان قلبك يرقص بهذا الخبر، وكانت عيناك تبرق. كنت سعيداً لدرجة لم أراك بها من قبل، وكأنك وجدت أخيراً شيء تهرب به مني. أنت تحبها، يا باولو. لا تخبئ هذا على قلبك، فأنا لن أكون سعيدة عندما تتركها لأجلي وأنت تحبها."
فظهر التوتر على وجه باولو قائلاً، "لا، يا إحسان. أنا أحبك منذ أن قابلتك في المرة الأولي في الكرخانة. لقد وجدتُ وجهك، إحسان، مفعم بالحياة والأمل. لقد أحببتك وأحببت اختلافك وأحببت كل شيء بك. لقد أعجبت بكل تصرف تفعلينه وبطريقة كلامك وبنقاء قلبك."
فابتسمت له قائلة، "أعجبت... أنت فقط أعجبت بي، يا باولو، وبأني مختلفة عما اعتدت..." فلم يرد باولو، بل اكتفى بأن ينظر لها وينظر لـ جيسيكا النائمة.
فأكملت إحسان حديثها بعد أن مسحت دموعها قائلة، "باولو، أنا لا أقبل أن أكون في مثل هذهِ العلاقة. ولا أقبل أن أكسر قلب أحد. ولو أكملتُ في هذا سأكسر قلبك وقلب جيسيكا

التي لم تفعل لك أي شيء سوى حبك. سأخرج من هنا الآن ومن حياتك للأبد، ولا تحكي لها أي شيء حتى لا يكسر قلبها وتكسر صورتنا في عيناها. أتمنى أن تصبح صديقتي على أن أدمرها. لقد كنتُ أفكر بأنانية، لكني فقتُ الآن من هذا، وسأظل أحبك للأبد، يا باولو."

ثم خرجت فجري خلفها باولو منادياً لها حتى وقفت له، فقال لها، "أنا أيضاً سأظل أتذكرك للأبد، يا إحسان. فأنتِ الشيء الجميل الذي أعطى لعلاقتنا الحياة من الجديد. عديني ألا تختفي من حياتنا."

فهزت رأسها بالموافقة مع ابتسامة رقيقة، ثم ذهبت إلى منزلها. وبمجرد أن أغلقت بابها، جلست تبكي خلفه وقلبها يتقطع حزناً على بعدها عنه. ثم نهضت من مكانها ومسحت دموعها ووقفت أمام المرآة. ثم أخذت تقول لنفسها، "هل كتب عليكِ الوحدة للأبد، يا إحسان؟ هل كتب لك دائماً أن يتعلق قلبك بما هو ليس لكِ؟ لكن هذا لا يهم، يجب أن أعود من جديد. يجب أن لا يرى حزني أحد. يجب أن أظهر إحسان القوية التي لا يهمها أي شيء إلى أن أموت. يجب أن أعلم أني إحسان صاحبة الكرخانة، ولن أكون أكثر من هذا مطلقاً حتى موتي. يجب أن أكون تلك السيدة التي لا تقهر ولا تبكي ولا تكسر أمام الجميع، لكن أمام نفسها هي أكثر من كسر قلبه على وجه الأرض. لكن لا يهم، أنا إحسان، وهذهِ أنا، ولا يهم بعد ذلك. ولا يهم هل سأصبح وحيدة أم لا. لا يهم بالنهاية ما سيحدث لي. المهم أن أكون تلك الفترة المؤقتة في حياة الجميع. أن أكون تلك الفترة التي عندما يتذكرها أحدهم، يبتسم حتى لو الحزن يملئ قلبه." ثم غسلت وجهها وتجملت حتى تستعد لليلة جديدة في الكرخانة.

في نفس الوقت كانت جيسيكا تفتح عينيها ببطء لتجد أمامها حبيبها باولو، فنهضت مسرعة تعانقه. ثم قالت له وهي تبكي بشدة، "لا تتركني مجدداً أبداً، لقد كنتُ أموت كل ليلة وأنت لست جاري. أنا أحبك. أحبك بشدة، يا باولو. وأريدك أن تصبح جاري للأبد حتى أموت. وأعدك عندما أموت، سأحبك، وفي حيواتي

الأخرى سأحبك، سأحبك إلى حيث لا حد لحبك. لا تتركني مجدداً. عدني بذلك."
فقبل رأسها قائلاً، "سأظل أحبكِ للأبد، يا جميلتي. سأظل أحبك حتى بعد موتي، وأن لم يكفي عمري لحبك، سأحبك في حياتي التالية، وللأبد يا جميلتي." ثم مسح دموعها قائلاً، "ألا تريدين أن تعرفي ما حدث لي؟"
فردت قائلة، "لا أريد أن أعرف سوى إنك ستصبح لي للأبد."
فابتسم قائلاً، "إذاً، هيا يا جميلتي، لنذهب للكرخانة الليلة، ومن هناك سنبدأ حبنا من جديد في حياة ليس بها سوى أنا وأنتِ وطفلنا."
فهزت رأسها بالموافقة. ثم ذهبا إلى هناك، إلى حيث إحسان توزع ابتسامتها وتتناسى حزنها أمام الجميع.

*****

كان يوسف يرى نور في كل تفاصيل قصة جيسيكا وباولو، كأن الكتاب يقول له حقيقة مشاعرها نحوه. ولكن القصة الأخيرة أكملها يوسف بمفرده، لا يعلم لماذا، لكنه وجد نفسه فجأة أمام سميحة وحبيبها الذي كان ينتحر بسبب أنه لا يستطيع أن يعيش بعيداً عنها.
جلال كان في المستشفى بعد أن ألقى بنفسه أمام السيارة، وبمجرد أن فتح عيناه كان يقول بصوت واهن ضعيف، "سميحة؟ سميحة؟" حتى نهضت من الكرسي وذهبت له، فأغمض عيناه وهو يحاول أن ينطق ولا يستطيع أن يتكلم.
فقال لها، "أنا آسف. أرجوكِ... أرجوكِ لا تتركيني. آسف... أعطني... أعطني فرصة أخرى، مثلما أعطاني الموت فرصة أخرى لأحبك."
فمسحت دموعه وهي تقول له، "أصمت، يا جلال، ربما يؤذيك الكلام الآن. أنت مريض وفقدت الكثير من الدمِ، يجب أن ترتاح."
فرد عليها قائلاً، "لو لم أتكلم معكِ الآن، سأموت يا سميحة. أنا أحبك. أحبك منذ المرة الأولى التي قابلت بها جمال وجهك. أحسُ أن روحي متعلقة بكِ، وعندما تغيبين تغيب روحي عني. أنا لا أستطيع أن أعبر مثلما تريدين، لكني سأحاول. أقسم لكِ أني سأحاول أن أكون

من يصنع لكِ السعادة دائماً، فأنتِ نور رحلتي. حياتي دونكِ لا شيء. أرجوكِ، أعطني فرصة أخرى، فحياتي دونكِ ليست حياة."

فبكت هي الأخرى وقبلت يده وقالت له، "أنا أحبك يا جلال، وسأموت دونك. عندما فعلت هذا وشعرتُ إنك من الممكن أن تموت، أحسستُ أن الموت يحوم حولي بدلاً عنك. أنا حمقاء، ظننتُ أنني سأعيش دونك، لكني لا أستطيع أن أعيش إلا جارك. أنت ملاكي الجميل، يا جلال. أتتذكر لقاءنا الأول؟ لقد كنتُ حمقاء أيضاً. لقد كنتُ معجبة بك كثيراً، لكن عندما حاولت أن تتحدث معي، هل تتذكر ماذا قلت لكِ؟"

فابتسم قائلاً، "نعم، أتذكر. لقد قلتِ لي إني أسوأ شخص على الأرض، ودفعتني بعيداً عنكِ وأخذتي تجري بعيداً عني، فقط لأنني قولت لكِ صباح الخير."

فضحكت قائلة، "نعم، لا أعرف ماذا كان يحدث لي عندما أراك، أو حتى أسمع أسمك على لسان صديقاتي في الجامعة التي كنا بها سوياً. كان وجهي يزداد حمرة، وكنتُ ازداد حماقة في تصرفاتي لدرجة تجعلني عندما أعود إلى منزلي أجلس على سريري وأضم وسادتي وأضحك على ما أفعله عندما أقابلك، ثم أتخيل حياتنا معاً وشكلها فيرقص قلبي فرحاً وتتزايد دقات قلبي حتى أشعر أن الجميع يسمعها، فتزداد حمره وجهي."

فضحك وقال لها، "هل تتذكرين ذلك اليوم الذي بعد مليون محاولة لأتحدث معكِ وتدفعيني عنك بتلك الأفعال الغريبة."

فضحكت ثم أكملت قائلة، "نعم، لقد كانت يدي ترتعش خوفاً وأنت تجلس أمامي. وكنت أشعر عندما انطق بكلمة واحدة، ستقرأ ما بقلبي وتعرف أن قلبي يذوب في حبك. وكنت تتحدث وتتحدث وأنا لا أجد ما أرد عليك به، ثم سكبت العصير من شدة توتري، ثم جلست أبكي وأنت تمسح دموعي."

فضحك قائلاً، "وعندما أخبرتكِ إنني سأتقدم لخطبتك، أحمر وجهك وبكيتي وضحكتي، وأصبحتِ لا تستطيعين التنفس، ثم فقدتِ

وعيك."
فابتسمت قائلة، "كنتُ حمقاء جداً، وكانت كل تصرفاتي حمقاء."
فداعب خصلات شعرها قائلاً، "كنتِ جميلة، وما زلتِ جميلة، وستظلين جميلة للأبد. للأبد، يا جميلتي."
فابتسمت وقالت، "سنعود كذلك للأبد، صحيح، يا جلال؟"
فهز رأسه قائلاً، "للأبد، يا ملكة الحسن."
فجأة وجد يوسف نفسه أمام نور، حربه الخاصة، فسار بعض خطوات إليها، يشعر بكل خطوة إنه يقترب لأفضل شيء في عمره، فعاد مرة أخرى إلى بيته، أمام مكتبه الذي وجد نادين نائمة عليه وفي يدها بعض رسائله التي كان يعترف بها عن حبه لها، ويصف بها جمال وجهها الذي يتمنى أن يظل يراه للأبد. عندما أقترب منها، سحر بجمالها، فمرر يده ببطيء بين خصلات شعرها. ثم امسك كتاب كأولين الذي كان على المكتب، ثم ضمه وابتسم قائلاً، "لا أعرف سرك، ولا أعرف كيف فعلت ذلك، لكن شكراً لأنك جعلتني أرى جميلتي في قصصك وفي مكتبي."
ثم نهض ليقبل رأس نادين، ففاقت من نومها، فذهلت لرؤيته أمامها. ثم أخذت تبكي وتضحك معاً وكل ذرة بجسدها ترتعش، وأخذت أنفاسها تتصاعد وفي بالها كل كلمة قد كتبها يوسف بها. فنهضت من الكرسي وهي تضم كتاب كأولين بين يديها، بينما كان هو يراقب ارتباكها ويبتسم، فهي برغم أنها علمت كل شيء من الورق، لكنها ترتبك مما ما قد يقوله لها يوسف، وأخذ وجهها يزداد حمرة ودقات قلبها تتعالى فتنفس يوسف الصعداء.
ثم قال لها، "نادين، أريد أن تكوني أنتِ دواء قلبي ونور حياتي ووردتي التي لا تذبل أبداً. أريدك أن تكوني الملكة الخاصة بي ورفيقتي في إنهاء قصتنا في الكتاب وفي الحياة. أريدكِ أن تكوني الشخص الذي أفني حياتي وكل ما أملك لأجله وأنا سعيد. أريد أن تكوني معشوقتي للأبد، كما كنتِ في حيواتي السابقة، وأعدك أن تكوني للأبد. أريدكِ أن

تكوني أول وجه أراه صباحاً، وأخر وجه أراه قبل نومي، وأخر شخص أتحدث معه قبل موتي. أريدكِ أن تكوني حبيبتي للأبد. فهل تقبلي يا مولاتي وملاكي الجميل؟"

ثم أنحنى لها ورفع يدها ليقبلها، بينما هي قد زادت حدقة عيناها وأصابها حالة من الذهول جعلتها تشعر إنها فقدت النطق، وتمنت أن لا تنتهي تلك اللحظة للأبد وتظل تتكرر وتتكرر للأبد. ورغم أن كلامه مشابهاً لما كان في الورق، لكن شعورها كان مختلفاً، فسقط الكتاب من يدها وهي لم تشعر به. رفعه يوسف ووضعه على مكتبه، ثم أقترب منها أكثر وقبلها. ثم قال لها، "ما رأيكِ، يا سيدة قلبي وسيدة الحسن؟"

فكانت الكلمات تهرب منها كلما حاولت أن تتكلم، فقالت له، "ماذا؟ أ..أ..أنا لا..لا أفهم ماذا... ماذا تريد؟ يوسف... يوسف لا أجد ما أقوله... أحس أن قلبي سيتوقف الآن... هل أنت حقا قلت ما سمعته؟ هل أنت موجود بالفعل أم أنت وهم؟ لا تقل لي إنك وهم، أرجوك. أنا أحبك، لكني لا استطيع أن أقول، أو لا أستطيع أن أعبر مثلك. لكن أنت تشعر بي، صحيح، يوسف؟"

ثم أزداد اضطرابها وقلقها، ثم أحست إنها لا تستطيع التنفس، فأخذت تحرك يدها أمامها وجلست على كرسي. وأخذت تضحك وتبكي وهو يقف أمامها، يراقب تلقائيتها وقلقها. وقد رأى فيها جميعهم، رأى فيها تلقائية سميحة وقوة ورد وإخلاص جيسيكا. وكانت تشبهم جميعهم في الشكل والتصرفات وكل شيء، مثلما كان هو شبيهاً لـ جلال ونوار وباولو.

ابتسم ثم قال لها، "هل تتزوجينني؟"

فضحكت وقالت له، "لماذا تفعل بي هذا، يا يوسف؟ أنا سأموت فرحاً. لا أستطيع أن أتماسك."

ثم نهضت وجريت إليه.

ضمها إليه وقال لها، "لن أزيد عليكِ، لكن أحكي لي حقاً، هل كنتِ في قصة ورد، صحيح؟ وكيف دخلت القصص وما يحدث؟ ما هذا الكتاب؟"

فضحكت وقالت له، "نعم، كنتُ بقصة ورد،

ورأيتُ كل شيء. سأحكي لك كل شيء." ثم حكت كل أسرار ذلك الكتاب كما عرفتها من حمدي، وكيف دخلت وكل شيء، وحكت له عن العصابة التي تريد أن تأخذ الكتاب، وأن سبيلها الوحيد للدخول هو أن تقتل يوسف.

فقال يوسف لها، "هذا يعني أن الشيء الوحيد الذي يجعلني بأمان، أن يبقى الكتاب بعيداً عني، فحتى لو وصلوا إلي لن يستطيعوا أن يقتلونني، إلا ومعهم الكتب، والعكس صحيح. لا يستطيعون أن يفعلوا أي شيء بالكتب دوني."

فقالت له نادين، "نعم، بالطبع."

فقال لها، "إذاً، حسناً، إنا لا أثق بأي شخص في الدنيا سواكِ، خذي الكتب وخبئيها في مكان بعيد."

فأخذت الكتب وخرجت بعيداً وقلبها يرقص فرحاً. ذهبت إلى حيث قررت أن تخبأهم، وعندما انتهت، عادت إلى منزلها لتقص على أبيها ما حدث معها، وعن غيابها وعن يوسف حبيبها. ظنت أن أبيها لن يصدقها، لكنها ذهلت بتصديقه لها، بل وأخبرها إنه يريد مقابلته حتى يتفقا على زواجهم. سعدت نادين بذلك، ونهضت وهي في أشد حالات سعادتها لتتصل بـ يوسف حتى يأتي لهم. فكانت السعادة تنتقل مع الكلمات إليه، فأخبرها إنه في دقائق سيكون عندها. وظل قلبها يرقص وعقلها يصور لها كيف سيكون لقاءهم، وكيف سيكتبان معاً قصة حبهم في كتاب كأولين.

ولكن تأخر يوسف عن الطبيعي، فاتصلت به حتى تعرف مكانه. عندما فتح الهاتف، سمعت صراخ يوسف يقول لها: أعتني بالكتب. ثم سمعت صوت حمدي يرد عليها قائلاً، "أتيتِ بالكتب أو لا، سأقتل حبيبك، فآتي بالكتب أفضل، حتى لا اقتل أبيك معه."

فسقط الهاتف من يدها ثم فتحت الباب وجريت خارجاً غير ملتفتة لنداء أبيها وهي تصرخ، "يوسف... سيقتلون يوسف! لن أتركهم يفعلون هذا مطلقاً، وإن كان الثمن موتي." ثم ذهبت إلى حيث كانت تتقابل مع حمدي، وتمنت أن تجده هناك، وبالفعل وجدته هناك فصرخت بوجهه، "أين يوسف؟ أين يوسف، يا حمدي؟"

فقال لها في برود، "حبيبك الذي خدعتني من أجله سيموت قريباً. أين الكتاب؟"
فصرخت في وجهه وهي تدفعه بقوة. "سأقتلك قبل أن تقتله، يا حمدي. أقسم لك بذلك. لو تأذى يوسف بأي شيء، سأقتلك..." ولكن قبل أن تكمل كلمتها، هناك من ضربها على رأسها من خلفها، فسقطت على الأرض.
ذهل حمدي عندما وجدها إسراء، فقال لها، "هذا أنتِ! ماذا تريدين منها؟ أنتِ قولتِ لي إنك لن تؤذيها."
فأخذت إسراء الصعداء ثم قالت له بعصبي، "أنت الأكثر غباءاً على وجه الأرض. هل جننت؟ هل تظن إنها تحبك، أو ستحبك حتى؟ أنت مجنون! ستحبك بعد أن تقتل حبيبها؟ أنت أحمق! ستموت نادين مثلما سيموت يوسف، فهي الشاهد الوحيد علينا، وأنا لا أترك شاهد خلفي يدمر عملي. ولن أترك أي شخص يدمر خطتي، حتى أنت. فأن كنت تعترض على قتل نادين، سأقتلك معها، هل تفهم؟ نادين ستقتل، وأنت من سيقتلها، مثلما ستقتل يوسف، أفهمتني؟"

فهز رأسه بالموافقة بينما أكملت حديثها قائلة، "هيا أحملها إلى السيارة، فلن تموت قبل أن تخبرنا أين الكتاب."
ثم جعلت حمدي يحبسها في مكان خاص، وجعلته هو وبعض من رجالها في مكانها حتى لا تهرب، بينما ذهبت للعضو الأهم في خطتها، والتي حقاً دونها لن تنجح خطة إسراء كل هذا النجاح. نور، تلك الفتاة التي من اليوم الأول وهي العون الأساسي لـ إسراء، فقد أتبعت خطة إسراء بالنص، فقد مثلت على يوسف إنها فتاة بالثانوية تعيش مع عائلتها، بينما أن من كانت تعيش معهم ليس هم إلا مأجورين يمثلون باحترافية لإقناع يوسف بما تريد. ولكن الجرم الوحيد التي اقترفته في نظر إسراء إنها أحبت. فذهبت إسراء لها، ثم قالت لها خطتها وما ستقوله لـ يوسف.
قالت لها نور، "هل لا يوجد حل سوى قتله، يا إسراء؟ أرجوكِ، بالطبع هناك شيء آخر. صحيح أنا لم أخذلك من قبل، ولم أرفض لكِ أي طلب."

فصرخت إسراء بوجهها قائلة، "وحتى لو، هل تعتقدين إنه سيعترف بجميلك ويترك نادين ويحبك ويكمل حياته معك؟ هل تفكيرك ساذج إلى هذا الحد؟ إنه لم يحبك ولا يحبك ولن يحبك يا نور. أفعلي ما أقوله لكِ فقط. منذ اليوم الأول لعملك معي قولتُ لكِ لا يوجد ما يسمى حب في عملنا. لقد كنتُ دائماً أحترم ذكاءك في كل عملية وقدرتك على التمثيل، ولكن تلك هي المرة الأولى التي تخذليننني بها يا نور. ارجعي إلى رشدك وأنسي يوسف للأبد، أو اجعليه ذكرى جميلة لك، ليس أكثر."

فبكت نور وقالت لها، "ليس للقلب سلطان أو حاكم، يا إسراء. لقد حاولت أن لا أحبه، لكني لا أستطيع! لا أستطيع أن أخرجه من قلبي! لم أشعر بتلك المشاعر من قبل، لكني أحب أن أتذكر حتى ذلك الوقت الذي كنتُ أراه من بعد."

ثم نزلت نور لتقبل قدم إسراء وهي تقول لها، "أرجوكِ اتركيه لي. اتركيه وحتى لو سيكمل حياته مع نادين، لا يهم. المهم أن يكون بخير، وأن يكون سعيداً، وحتى لو سعادته معها هي. أرجوكِ، يا إسراء. أرجوك اقتليني ولا تقتلي يوسف، أرجوكِ."

فلكزتها إسراء ثم قالت لها، "ستفعلين ما آمركِ به، وستدخلين إلى حيث يوسف محبوس، وستقنعينه أن يجعل نادين تأتي بالكتاب، أفهمتني؟"

فنهضت نور وهزت رأسها بالموافقة، وأعدت نفسها لمقابلته. ثم ذهبت إلى حيث محبس يوسف.

عندما وجدها يوسف قال لها، "نور، ما الذي جاء بك إلى هنا؟ هل خطفوكِ أنتِ الأخرى؟ هل تعرفين أي شيء عن نادين؟ هل هي بخير؟"

فصمتت نور لثواني ثم قالت له، "أنا السبب في أن تكون هنا، يا يوسف. أنا لستُ نور تلك الطالبة التي تعيش مع أمها وأخيها، لقد كان مجرد مسلسل قد صدقته يا يوسف، أنا وظيفتي أن أصنعه معك ومع غيرك حتى أصل لما أريده."

فصرخ يوسف في وجهها قائلاً، "وماذا تريدين؟ تريدين الكتاب، صحيح؟ أنا لا اصدق ما

تقولينه! هل هذهِ أنتِ نور البريئة؟"
فقالت له بنفس هدوءها، "هذا ما ظننته أنت يا يوسف، ولكن حقيقتي ليست مهمة، المهم وظيفتي الآن، وما أنا هنا لأجله. أنا هنا فقط لأجل الكتاب، فلو تحب نادين حقاً، أجعلها تقول لنا أين الكتاب، بدلاً من أن تقتل المسكينة قبل أن تسعد قليلاً بالحب الجديد الذي طرأ على قلبها."
ثم اقتربت نور من يوسف ومررت يدها ببطء على وجهه، فدفعها بعيداً عنه قائلاً، "أنتِ ألعن امرأة قد رأيتها في حياتي. كيف تقبلين على نفسك أن تكوني بكل هذا السوء؟ أنا لا أكره أحد في حياتي مثلما كرهتكِ الآن! أنتِ أقبح إنسانة في الدنيا. ماذا عن قلبك؟ هل هو مجرد حجر؟ هل لديكِ قلب بالأساس؟ كيف تكوني بكل هذا السوء؟ كيف يكون قلبك بكل هذا السواد؟ كل هذا مقابل كتاب لن تستفيدي منه، بل سيستخدمه من يحركك مثل قطعة الشطرنج وسيستخدمه في تدمير حياة الكثيرين. أنا حامي الكتاب، وحامي لحبي نادين، ولن أجعل أياً منهما يصاب بأذى مهما كانت النتيجة التي سأتحملها. تعرفين لماذا؟ لأني أتمتع بقلب قد حرمك منه الله."
كان يقول يوسف هذا ولا يعلم أن كلماته كانت تنزل في قلبها كسيف قد طعنها العديد من المرات. أحست أن جسدها كله تجمد من الحزن الذي أصابها بعد حديثه معها. في نفس اللحظة كان هاتفها يرن، وكان المتصل إسراء، فردت عليها نور قائلة، "أنا أفعل ما قلتيه لي. هل هناك أي جديد؟"
فصرخت بها إسراء قائلة، "لقد هربت نادين، لا أعرف كيف. لكن هناك من هربها وقتل حمدي. قد قتل أخيك حمدي، يا نور. سأجعل كل رجالي يبحثون عنها وستموت الليلة."
فقالت لها نور، "أرجوكِ يا إسراء، تعالي إلي حالاً."
فقالت لها إسراء أنها ستأتي. استدارت نور لـ يوسف، "هل ستعرف أن تهرب في ثلاث دقائق؟"
فذهل يوسف قائلاً، "ماذا؟"
فقالت له، "لقد هربت نادين وقتل حمدي،

وسأهربك الآن. أذهب إليها بأقصى سرعة يا حامل الكتاب، ولكن بشرط واحد، أجعلني عندك الذكرى اللطيفة التي عندما تتذكرها تبتسم، فهذا سيكون العزاء الوحيد لي في أخي وقلبي ونفسي، وتذكر إني أحبك." فقال لها، "أعدك بذلك رغم أني لا أفهم شيئاً." فابتسمت له قائلة، "لا يهم."

ثم ساعدته في الهروب، وبينما كان يهرول ليذهب لحبيبته، كانت هي تعد كل شيء لتنفذ خطتها. تخفت حتى سمعت صوت إسراء في المكان، فأتت خلفها وطعنتها بسكين من خلفها، فسقطت إسراء على الأرض صريعة، بينما نظرت لها نور قائلة، "يبدو أن تلك نهايتك ونهاية كل من يعمل معكِ." فأخرجت السكين من جسد إسراء ثم أغمضت عينها وهي تبكي، وهمست بينها وبين نفسها قائلة، "أحبك، يوسف."

ثم طعنت نفسها هي الأخرى بنفس السكين فسقطت جار إسراء.

*****

"لقد كتبتُ قصتنا، يا نادين، وقد تلون الحرف الأخير، أنظري. وقد أعطي الكتاب لقصتنا عنوان نور."

فابتسمت له نادين وهي تأخذ منه الكتاب لترى حرفهما الخاص. ثم أغمضت عينها وقالت، "أتمني أن لا تنتهي صفحات الكتاب للأبد حتى أحبك للأبد يا يوسف، كما فعلتُ في السابق، كما حدث في حيواتنا السابقة، سنفعل في حيواتنا التالية. أتمنى أن تكون أنت لي دائماً." فضمها إليه قائلاً، "وأتمنى أن تكوني زوجتي وحبيبتي وشريكة روحي للأبد."

تمت بحمد الله

روايات خيالية حصرية تصدر على منتديات

شبكة روايتي الثقافية.

www.rewity.com